ظاهرة تقنين الطراز العثماني وشيوع الأساليب المحلية بالعمائر الدينية بمدينة دمشق خلال العصر العثماني

The phenomenon of rationing the Ottoman style and the prevalence of local styles in religious architectures in Damascus during the Ottoman period

منصور محمد عبد الرازق
أستاذ مساعد بقسم الآثار الإسلامية – كلية الآثار – جامعة القاهرة
mansour.arch@cu.edu.eg

المخلص

تنوعت المنشآت الدينية التي أنشئت بمدينة دمشق خلال الفترة العثمانية ما بين الجوامع، المساجد، المدارس، التكايا، والزوايا وغيرها. وبعض هذه المنشآت كان بأمر سلطاني وبعضها تمت عمارته من جانب ولاة المدينة خلال الفترة العثمانية والبعض الآخر أنشئ من جانب ذوو السلطان والنفوذ ممن هم أقل شأنا من السلاطين والولاة. وقد شهدت المدينة خلال هذه الفترة طرازا جديدا لم تعهده من قبل بمنشآتها الدينية وذلك تماشيا مع خضوعها للسلطة العثمانية فبدا التأثير العثماني الوافد واضحا على هذه المنشآت. وقد تباينت درجة تأثير الطراز العثماني الوافد من منشأة لأخرى لاعتبارات مختلفة تم رصدها ضمن هذا البحث. ولم يقف المعمار الدمشقي مكتوف الأيدي تجاه هذه التيارات المعمارية الوافدة التي تزامنت مع خضوع مدينته للسلطة العثمانية، فما هي إلا فترة يسيره حتى بدأت أساليبه المحلية - التي ترسخت في المدينة على مدار قرون عديدة - في الظهور مرة أخرى جنبا إلى جنب مع الطراز العثماني الوافد. وفي الوقت ذاته بدأت ظاهرة تقنين هذا الطراز الوافد وإحلال الأساليب المحلية محله شيئا فشئيا حتى ظهرت بالمدينة بعض العمائر التي تكاد تخلو تماما من مظاهر التأثيرات الوافدة. وقد خصص ذلك البحث لرصد ظاهرة الحد من الطراز العثماني وتقنينه من جانب المعمار الدمشقي وإحلال أساليبه المحلية محل هذا الطراز الوافد وذلك من خلال تناول مخططات العمائر الدينية التي أنشئت بالمدينة خلال الفترة العثمانية وتتبع عناصرها المعمارية والزخرفية.

الكلمات الدالة: تقنين، عثماني، وافد، محلي، إحلال، مخططات، عناصر

Abstract

The religious buildings that were constructed in Damascus during the Ottoman period varied to congregational mosques, mosques, madrasas, Teykiyahs and zawiyahs etc. Some of these buildings were constructed by Sultans and the deputes orders, where the rest of which were constructed by the order of whom inferior to the deputes. During this period, a new architectural style - came from Turkey with the Ottoman - was used in the city so that the Ottoman influence clearly appeared in the buildings of this period. The degree of the Ottoman influences on the buildings of this period varied from one building to another for various considerations that were recorded within this study. The Damascene architect did not capitulate to these foreign ottoman influences and did not leave his local styles that settled in the city for several years. It was only a short time, the local styles reused again beside the foreign style. At the same time, the phenomena of the reducing the Ottoman style and replacement the local styles began to appear until the buildings of the city became devoid of these foreign influences. This paper allocated to

study the phenomena of reducing the Ottoman style and replacing it by the local styles through tracing the architectural plans of these buildings and their architectural and decorative elements.

Keywords: Reducing, Ottoman, foreign, local, replacement, plans, elements

المقدمة:

خضعت مدينة دمشق مع غيرها من المدن الشامية للحكم العثماني بعد هزيمة المماليك في موقعة مرج دابق التي دارت أحداثها على الأراضي الشامية سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م[١]، ومنذ انتهاء أحداث هذه المعركة انتهى الحكم المملوكي لبلاد الشام وأصبحت مدينة دمشق نفسها ولاية تابعة للسلطنة العثمانية[٢]. وقد تمتعت مدينة دمشق بعناية خاصة من جانب العثمانيين بعد أن آلت إلى حكمهم لكونها عاصمة للقطر السوري بشكل عام، بالإضافة إلى ما تمتعت به من أهمية تجارية لوقوعها على طريق الحج مما مهد لها فرصة الاتصال مع المراكز التجارية العربية[٣]. وقد تجلت مظاهر اهتمام العثمانيين بمدينة دمشق فيما خلفوه من منشآت مختلفة أنشأت تحت رعايتهم مثل الجوامع، المساجد، المدارس، التكايا، والزوايا هذا الإضافة إلى المنشآت المدنية مثل القصور، الحمامات، والخانات وغير ذلك[٤].

ويركز هذا البحث على المنشآت الدينية التي أنشئت بمدينة دمشق خلال تلك الفترة، ويرصد ما حل بمخططاتها وعناصرها المعمارية من تغيير كنتيجة مباشرة لخضوع المدينة لسلطة العثمانيين. كما يرصد البحث موقف المعمار الدمشقي من هذه التيارات المعمارية الوافدة والوقوف على مدى استمرارية أساليبه المحلية في العمائر التي تم تعميرها في الفترات اللاحقة لبداية الحقبة العثمانية. ومما لا شك فيه أن استيلاء العثمانيون على مدينة دمشق سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م قد أصابها بنوع من التغيير في المجال الفني[٥] حيث شهدت المنشآت الدينية طرزا جديدة وفدت مع الأتراك العثمانيين لم تعهدها مدينة دمشق من قبل، وذلك في الوقت الذي كانت المسحة القاهرية قد وصلت إلى درجة الهيمنة على منشآت المدينة الدينية قبيل مجيء العثمانيين[٦].

وإذا كان خضوع مدينة دمشق للدولة العثمانية قد أصاب منشآتها الدينية بنوع من التغيير تماشيا مع الطرز الفنية السائدة في العاصمة استانبول، فإن ذلك لا يعني انتهاء الأساليب المحلية التي كانت متأصله في المدينة على مدى قرون عديدة[٧]، وإنما ظلت بصمة المعمار المحلي الدمشقي واضحة وظلت أساليبه المحلية تنافس التيارات الجديدة الوافدة حتى يمكننا القول أن الغلبة كانت في النهاية لهذه الأساليب المحلية[٨].

وهذه الظاهرة التي تتمثل في محاصرة الأساليب المحلية للطراز العثماني الوافد وتقنينها له لم تكن قاصرة على مدينة دمشق، وإنما يمكن تعميمها على كافة الولايات العربية التي خضعت للسلطة العثمانية، فقد امتازت هذه

---

[١] ريمون، أندرية، *المدن العربية الكبرى في العصر العثماني*، ترجمة لطيف فرج، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩١م، ٢١.

[٢] العلبي، أكرم حسن، *دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين*، الشركة المتحدة للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٢م، ٣٩٤.

[3] Burns, Ross, *Damascus: A history*, Routledge, Taylor & Francis group, London, 2005, 227.

[4] Kafescioğlu, Çiğdem, "In the image of Rūm": Ottoman architecture patronage in sixteenth-century Aleppo and Damascus, *Muqarnas*, vol. 16, 1999, 74.

[5] Arnaud, Jean-luc, *Damas Urbanisme et architecture (1860-1925)*, Sinbad, 2006, 12.

[٦] ولتسينجر، كارل & واتسينجر، كارل، *الآثار الإسلامية في مدينة دمشق*، تعريب قاسم طوير، تعليق عبد القادر الريحاوي، دمشق، ١٩٨٤م، ٤٠.

[7] Boqvist, Marianne, *Architecture et développement urbain à Damas de la conquête ottoman (922 h./ 1516-17) à la fondation du waqf de Murad Pacha (1017 h./ 1607-08)*, Paris, 2005, 158.

[٨] قصقص، هلا، *مساجد دمشق في العصر العثماني- دراسة تاريخية عمرانية*، دار نينوي للطباعة والنشر، سوريا، ٢٠١٩م، ٣.

الولايات بأساليبها المحلية التي توطدت فيها شيئا فشئيا على مدى قرون عديدة حتى صارت طرزا رسمية معتمدة للمنشآت الرسمية بهذه الولايات. وكان من الصعب على طراز الدولة العثمانية الوافد أن يقوِّض هذه الطرز المحلية على وتيرة واحدة، وإنما استمرت هذه الأساليب إلى جانب الطراز الوافد إلى أن استطاع المعمار المحلي في النهاية أن يجعل الغلبة لأساليبه المحلية.

والحق أن هذه الظاهرة التي تتمثل في غلبة الأساليب المعمارية المحلية بهذه الولايات على حساب الطراز العثماني الوافد لم تكن لتكتمل أركانها لمنافسة وصمود الأساليب المحلية في وجه التيارات الوافدة وحسب، ولكن كان للأسلوب الذي اتبعه العثمانيون في إدارة هذه الولايات أثره الفعال في إنجاح هذه الظاهرة وجعلها قاعدة عامة يمكن تطبيقها على هذه الولايات. فقد بسط العثمانيون نفوذهم على معظم أرجاء الوطن العربي تقريبا حتى بلغ عدد الولايات العربية التي خضعت لحكمهم اثني عشرة ولاية هي حلب، دمشق، طرابلس الشام، مصر، بغداد، البصرة، الرقة، الموصل، اليمن، طرابلس الغرب، تونس والجزائر. وقد أفسح العثمانيون المجال للعنصر المحلي في إدارة هذه الولايات وذلك بإقرار ولاة محليين للحكم بعد إعلان التبعية للسلطة العثمانية المركزية. وكان لذلك أثره الفعال في تحديد الذوق الفني بهذه الولايات[٩]، وفي الوقت ذاته لم يعمد العثمانيون على فرض ذوقهم الفني في الولايات العربية التي خضعت لحمكهم[١٠] فظهر الطراز العثماني الوافد على استحياء في بداية الأمر بهذه الولايات وبنسب متفاوتة إلى أن تعود الأساليب المحلية إلى دائرة المنافسة مرة أخرى ويكتب لها الغلبة في النهاية على حساب الطراز الوافد، حتى أنه لا يوجد وجه للمقارنة في جميع هذه الولايات بين المنشآت التي شيدت وفقا للطراز الوافد وتلك التي كانت استمرارا للأساليب المحلية، وحتى تلك المنشآت التي شيدت وفقا للطراز الوافد لم تسلم من التأثيرات المحلية التي وقعت عليها[١١].

---

[٩] ريمون، أندريه، *العواصم العربية – عمارتها وعمرانها في الفترة العثمانية*، تعريب قاسم طوير، دار المجد، سوريا، ١٩٨٦م، ٨-١٠.

[١٠] الحداد، محمد حمزة، *موسوعة العمارة الإسلامية في مصر من الفتح العثماني حتى عهد محمد علي ٩٢٣- ١٢٦٥هـ/ ١٥١٧-١٨٤٨م*، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ١٩٩٨م، ٦١.

[١١] ظاهرة استمرار الأساليب المحلية في الولايات العربية التي خضعت للسلطنة العثمانية تعد من الظواهر العامة التي يمكن تعميمها على هذه الولايات وبلا استثناءات لذلك، ومرجع ذلك هو أن هذه الولايات كان لها طرزها وأصولها المعمارية ومدراسها الفنية قبل دخول العثمانيين إليها، وكان من الصعب أن يتنازل المعمار المحلي عن أساليبه التي تعود عليها وتأصلت معه، كما كان من الصعب على الطراز العثماني الوافد التغلب على هذه الأساليب ومحوها دفعة واحد خاصة في ظل السياسة التي اتبعها العثمانيون في التعامل مع هذه الولايات. ويمكن الرجوع للدراسات الآتية على سبيل المثال لا الحصر لمطالعة ظاهرة استمرار الأساليب المحلية بالولايات العربية في مجال العمارة في ظل الحكم العثماني: المليجي، علي محمد سليمان، الطراز العثماني في عمائر القاهرة الدينية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة أسيوط، ١٩٨٠م؛ الدولالتلي، عبد العزيز، التأثيرات العثمانية في العمارة التونسية، المجلة التاريخية المغاربية ، مج ١٠، ع ٣١،٣٢، ١٩٨٣م؛ عيسى، مرفت محمود، الطراز العثماني لمنشآت التعليم بالقاهرة ٩٢٣-١٢١٣هـ/ ١٥١٧-١٧٩٨م دراسة أثرية معمارية، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٧م؛ الحداد، محمد حمزة، الطراز المصري لعمائر القاهرة الدينية خلال العصر العثماني ٩٢٣-١٢١٣هـ/ ١٥١٧-١٧٩٨م، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٠م؛ لعرج، عبد العزيز، مظاهر التأثير العثماني على المنتجات الفنية بالجزائر، مجلة الإتحاد العام للآثاريين العرب، مج٣، ٢٠٠٢م، ٥٢٤-٥٤٢؛ الحفوظي، أشرف إبراهيم، أثر العمارة الإسلامية على عمارة المساجد الموصلية (دراسة تحليلية للخصائص والمفردات المعمارية)، مجلة الرافدين، مج ١٩، العدد١، ٢٠١١م، ١١٠-١٢٢؛ زكي، أحمد محمد، التأثيرات المحلية الموروثة على العمائر الدينية ذات الطراز العثماني الوافد بمدينة القاهرة، مجلة كلية التربية جامعة الاسكندرية، مج٢١، العدد٢، ٢٠١١م، ٢٢٧-٣٣٢؛ بن بلة، خيرة، العمارة الدينية الجزائرية بين الطراز المحلي والتأثيرات العثمانية ، المؤتمر الخامس عشر لاتحاد للآثاريين العرب، ٢٠١٢م؛ عنب، محمد

وتنطبق هذه القاعدة المشار إليها على مدينة دمشق كأحد الولايات العربية التي خضعت لسلطة العثمانيين. وقد بدأ الطراز العثماني الوافد قويا واضح الملامح بالمنشآت الدينية بهذه المدينة، لا سيما تلك المنشآت التي تم تعميرها بأمر سلطاني حتى يمكن اعتبارها صورة صادقة لما يناظرها بمدينة استانبول سواء من حيث التخطيط العام أو من حيث العناصر المعمارية والزخرفية إلى حد كبير. ولم يكتب لهذا الطراز الوافد الاستمرار بنفس هذه الدرجة من الوضوح والقوة حيث ظهرت مجموعة أخرى من العمائر أنشئت وفق هذا الطراز إلا أن الأساليب المحلية كان لها نصيب كبير من تفاصيلها المعمارية والزخرفية أي أنها جمعت بين الطراز الوافد والمسحة المحلية الدمشقية في آن واحد، وغالبية هذه العمائر كانت من إنشاء ولاة المدينة خلال تلك الفترة[١٢]. وفي الوقت ذاته ظهرت مجموعة أخرى من العمائر معظمها أنشئت من جانب من هم أقل مرتبة من الولاة فجاءت بعيدة كل البعد عن الطراز العثماني الوافد واستمرارا للأساليب المحلية الموروثة سواء في مخططاتها العامة أو تفاصيلها المعمارية والزخرفية وكأن الأساليب المحلية الموروثة استطاعت في النهاية أن تحقق ذاتها في منافسة الطراز العثماني ليظهر صدى هذه المنافسة في تقنين الطراز الوافد شيئا فشيئا حتى كانت الغلبة في النهاية للأساليب المحلية، وهو ما توضحه هذه الدراسة بالتطبيق على العمائر الدينية الباقية بمدينة دمشق. وللوقوف على درجة التغيير التي ألمت بالعمائر الدينية التي شيدت بالمدينة خلال الفترة العثمانية ومدى سيطرة الأساليب المحلية الموروثة على هذا التغيير ينبغي أن نوضح الملامح العامة التي تميزت بها المنشآت الدينية بمدينة دمشق حتى قبيل مجيء العثمانيين.

١. خصائص العمارة الدينية بمدينة دمشق حتى قبيل مجيء العثمانيين:

تميزت العمائر الدينية بمدينة دمشق في الفترات التاريخية السابقة لمجيء العثمانيين بالازدهار والانتشار والتنوع فيما بين الجوامع، المساجد، المدارس، الزوايا، والخانقاوات وغيرها، وقد تمكن المعمار الدمشقي من بلورة خصائص هذه العمائر حتى أصبح لها شخصية مستقلة وملامح مميزة نستطيع من خلالها أن نميزها عما يناظرها بالأقطار المجاورة بل وبالمدن الشامية نفسها[١٣] حيث احتفظت كل منها ببعض المميزات الخاصة إلى جانب الملامح العامة التي تزامنت مع كل فترة من الفترات التاريخية التي مرت عليها[١٤].

وفيما يتعلق بالمخططات العامة نستطيع أن نميز طرازين من المخططات التي كان لها الغلبة والانتشار في الفترات التاريخية السابقة على مجيء العثمانيين، أولهما المخطط الذي يعتمد على الصحن والأروقة، وينحدر هذا التخطيط بطبيعة الحال من الجامع الأموي بدمشق شكل (١) الذي يعد نموذجا يحتذى بالنسبة لمساجد الشام بشكل عام سواء من حيث تخطيطه العام أو من حيث بعض تفاصيله المعمارية. وقد استمر هذا التخطيط متبعا في المساجد الجامعة التي عمرت في الفترات التاريخية اللاحقة ومن ذلك جامع الحنابلة ٥٩٨هـ/١٢٠٢م، جامع الجراح ٦٣١هـ/١٢٣٤م، جامع التوبة ٦٣٢هـ/١٢٣٥م، جامع يلبغا ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م[١٥] شكل (٢)، وجامع الأقصاب ٨١١هـ/١٤٠٩م شكل (٣). وتمتاز ظلة القبلة في هذا التخطيط بكونها تمتد عرضيا ومقسمة من الداخل بعدد من البائكات الموزاية لجدار القبلة، ويقطع هذه البائكات أحيانا مجاز قاطع عمودي على جدار القبلة وهو ما وجد للمرة

أحمد، التأثيرات العثمانية على العمارة الإسلامية فى اليمن ، دراسة آثارية معمارية فنية، مجلة كان التاريخية، مج١٢، العدد ٤٤، ٢٠١٩م، ١٩-٤٠.

[١٢] المنجد، صلاح الدين، *ولاة دمشق في العهد العثماني*، دمشق، ١٩٤٩م، ٥.

[١٣] الحداد، محمد حمزة، *المجمل في الآثار والحضارة الإسلامية*، ط٣، زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠١٤م، ٤٨٧.

[14] Sauvaget, Jean, *Les monuments historiques des Damas*, Beyrouth, 1932, 41.

[١٥] الريحاوي، عبد القادر، جامع يلبغا في دمشق، الحوليات الأثرية العربية السورية، مج ٢٤، ١٩٧٤م، ١٢٧.

الأولى في العمارة الإسلامية على الإطلاق بالجامع الأموي بدمشق[١٦] ثم تتابع تكراره في المدينة ذاتها بتأثير من هذا النموذج كما هو الحال في جامع التوبة ٦٣٢هـ/١٢٣٥م.

أما الطراز الثاني وهو الأكثر شيوعا لا سيما في تخطيط المدارس الدمشقية فهو التخطيط الإيواني حول صحن مركزي تتوسطه فسقية أو بحرة بلغة أهل الشام، والايوان الجنوبي أو بيت الصلاة يكون أكثرها اتساعا ويمتد على هيئة مستطيل عرضي يقسم من الداخل في أغلب الأحوال على هيئة القلب والجناحين بحيث يعلو الجزء المركزي قبة والجناحين أقبية مدببة أو متقاطعة، وأحيانا يتم تقسم هذا الإيوان على طول امتداده ببائكات مكونة من عقود مدببة، أما باقي الإيوانات فتكون أقل مساحة ويحيط بها باقي الملاحق. ومن الأمثلة التي تمثل هذا التخطيط المدرسة النورية الكبرى ٥٦٢هـ/١١٦٧م شكل (٤)، دار الحديث النورية (المدرسة النورية الصغرى) ٥٥٩هـ/ ١١٦٤م، المدرسة العادلية ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م[١٧]، المدرسة الأفريدونية ق٨هـ/ ١٤م[١٨] شكل (٥)، والمدرسة الصابونية ٨٦٨هـ/ ١٤٦٤م[١٩] وغير ذلك. وفي الوقت ذاته لم يقتصر هذا التخطيط على العمائر الدينية وإنما شاع استخدامه في العمائر المدنية والخيرية كما هو الحال في البيمارستان النوري ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م، والبيمارستان القيمري ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م. وقد تميزت بعض المخططات بخلوها من عنصر الصحن كمخطط جامع التوريزي ٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م[٢٠]، أو بتغطيته في بعضها الآخر كما هو الحال في المدرسة الجقمقية ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م[٢١]، والمدرسة الشاذبكية ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م[٢٢]، كما اتجه المعمار إلى تقنين المساحة لا سيما خلال العصر المملوكي باستثناء بعض النماذج المتأثرة بتخطيط الجامع الأموي كجامع تنكز ٧١٧هـ/ ١٣١٧م[٢٣]، وجامع يلبغا ٧٤٧هـ/١٣٤٦م[٢٤]، ولم تكن هذه الظاهرة قاصرة على مدينة دمشق أو المدن الشامية، وإنما شملت مدينة القاهرة التي تميزت مساجدها الجامعة بصغر مساحتها خلال العصر المملوكي باستثناء جامع المؤيد شيخ ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م[٢٥].

وتمتاز مخططات العمائر الدينية بعدد من الملحقات التي تأتي على رأسها القبة الضريحية التي كان مكانها المفضل لدى المعمار في أغلب الأحيان إلى جوار المدخل كما هو الحال في المدرسة النورية التي تعد أقدم نموذج لهذه الظاهرة بمدينة دمشق ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م، ومن ذلك أيضا المدرسة الركنية٦٢١هـ/ ١٢٢٤م، المدرسة الأفريدونية ق٨هـ/ ١٤م، المدرسة الإخنائية ٨٢٠هـ/١٤١٧م ، المدرسة الجقمقية ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م، المدرسة الصابونية ٨٦٨هـ/

---

[١٦] البهنسي، عفيف، *الجامع الأموي الكبير بدمشق*، دار طلاس، سوريا، ١٩٨٨م، ١٠٩؛ Creswell, K. A. C., *a short account of early Muslim architecture*, A.U.C., Cairo, 1989, 52.

[17] Meincke, Michael, *Die Mamlukische architektur in Ägypten und Syrien (648/1250 bis 923/1517)*, Abhandlungen des Deutschen Archäologischen Institutes, Ägypten, 1992, 38.

[١٨] النعيمي، عبد القادر، الدراس في تاريخ المدارس، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م، ١٧٥، ١٧٦.

[١٩] بن بدران، عبد القادر، *منادمة الأطلال ومسامرة الخيال*، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م، ١٧.

[٢٠] ولتسينجر& واتسينجر، *الآثار الإسلامية في دمشق*، ٢٨٤.

[٢١] الريحاوي، عبد القادر، *العمارة العربية الإسلامية، خصائصها وآثارها في سورية*، ط٢، دار البشائر، دمشق، ١٩٩٩م، ١٨٣.

[٢٢] مرسي، محمود، المدرسة الشاذبكية ودار القرآن الصابونية بمدينة دمشق (النصف الثاني من ق ٩هـ/ ١٥م) دراسة أثرية معمارية، المؤتمر العالمي الأول للعمارة والفنون الإسلامية الماضي والحاضر والمستقبل، رابطة الجامعات الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٧م، ١٨٨.

٢٣ بن بدران، *منادمة الأطلال*، ٦٨.

[٢٤] الريحاوي، *العمارة العربية الإسلامية*، ١٨٣.

[٢٥] نجيب، محمد مصطفى، *دراسة معمارية للمساجد الجامعة الجركسية بمصر ٧٨٤-٩٢٣هـ/ ١٣٨٢-١٥١٧م*، ط١، دار كتابات، القاهرة، ٢٠١٣م، ١٢.

١٤٦٤م، والمدرسة السيبائية ٩٢١هـ/١٥١٦م التي تعد أخرالمنشآت التي شيدت بالمدينة خلال العصر المملوكي وقبيل العصر العثماني.

وقد امتازت منشآت المدينة الدينية فيما قبل العصر المملوكي بالبساطة والتشقف، وربما مرجع ذلك الظروف السياسية التي أحاطت بالدولتين الزنكية والأيوبية، وفي الوقت ذاته امتازت هذه المنشآت رغم بساطتها بالقوة والمتانة واعتمادها على الحجارة لاسيما الواجهات التي بنيت بمداميك ضخمة كبيرة المقياس. وقد بدأ الثراء الزخرفي يظهر بشكل ملفت للنظر في واجهات المنشآت الدينية خلال العصر المملوكي لاسيما العصر المملوكي الجركسي حيث بدأ المعمار في تقنين حجم المداميك المستخدمة في البناء وجعلها أقل ارتفاعا عن ذي قبل، وفي الوقت ذاته شاع استخدام المداميك المتناوبة الألوان والتي تمتد بكامل امتداد واجهة البناء بعد أن كانت قاصرة قبل ذلك على المناطق المحيطة بالنوافذ والمداخل الرئيسية، وفي الوقت ذاته اعتمد المعمار على الألوان الزاهية والبراقة لا سيما اللونين الأبيض والأسود وأصبحت هذه التفاصيل الزخرفية شكلا مميزا لعمائر المدينة الدينية. ولم يقتصر تزيين الواجهات على التناوب اللوني في مداميك البناء، وإنما انتشرت الأطر الزخرفية ذات الزخارف المنفذة بالحفر البارز والغائر قوامها أشكال نباتية وهندسية. وفي غالب الأحيان يشغل القسم السفلي من الواجهات شبابيك ضخمة مغشاة بالمصبعات الحديدية تتصل من خلالها المنشأة مع الخارج، ويقوم المعمار بجعل هذه الشبابيك محتواه داخل دخلات رأسية تنتهي بصدور مقرنصة.

وعن طرز المداخل التي استخدمت بهذة المنشآت حتى قبيل العصر العثماني فقد تنوعت طرزها بين المداخل البسيطة المتوجة بعقود مدببة مثل مدخل المدرسة الركنية ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م لوحة (١- أ)، والمدرسة المرشدية ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م لوحة (١- ب)، وأحيانا يكون عقد المدخل من العقد ذو الفصوص أو المخدات كما هو الحال في مدخل المدرسة الإخنائية ٨٢٠هـ/١٤١٧م. والطراز الأشهر من المداخل هو ما انتشر خلال العصر المملوكي وهو المدخل ذو الطاقية المقرنصة ومن أمثلته المبكرة مدخل المدرسة الصاحبية بالصالحية ٦٢٨هـ /١٢٣١م شكل (٦- أ)، مدخل المدرسة الأتابكية ٦٤٠هـ/ ١٢٤٣م شكل (٦- ب)، مدخل المدرسة الظاهرية ٦٧٧هـ/١٢٧٩م[٢٦]، مدخل جامع تنكز ٧١٧هـ/ ١٣١٧م، ومدخل الجامع المعلق ٨٦١هـ/ ١٤٥٧م، وأحيانا يتم تنفيذ واجهة عقد المدخل على شكل عقود متداخلة كما هو الحال في المدخل الرئيسي لجامع صهيب الرومي المشهور بتربة آراق السلحدار ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م، ومدخل المدرسة الجقمقية ٨٢٢هـ/١٤١٩م[٢٧]. كما ظهرت أيضا في تلك الفترة المداخل ذات العقود المداينية كما في مدخل جامع التوريزي ٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م[٢٨]. وفي جميع الحالات توجد فتحة الدخول داخل هذا التكوين يتوجها عقد مستقيم وهو ما يعرف محليا باسم نجفة أو ساكف المدخل، وغالبا ما يتم استغلال هذا العقد المستقيم في تسجيل النقش التأسيسي.

وتتضمن هذه المنشآت مئذنة واحدة فقط وبلا استثناءات بحيث لم يشذ عن هذه القاعدة بمنشآت المدينة ككل سوى التكية السليمانية التي تتضمن مئذنتين، وهذه السمة لم تكن قاصرة على دمشق وحدها من بين مدن الشام وإنما

[٢٦] يعد مدخل المدرسة الظاهرية بمدينة دمشق صورة طبق الأصل - باستثناء بعض التفاصيل الزخرفية – من مدخل المدرسة الظاهرية بالقاهرة ٦٦٢هـ/ ١٢٦٤م، ويعبر هذا النموذج عن أحد الأمثلة الواضحة لتأثير العمارة القاهرية على عمائر مدينة دمشق خلال عصر المماليك. عبد الوهاب، حسن، *التأثيرات المعمارية بين آثار سوريا ومصر*، القاهرة، ١٩٦٢م، ١٨.

[٢٧] مرسي، محمود، دراسة لمجموعة من العمائر الإسلامية الدينية الباقية بمدينة دمشق من العصر المملوكي في الفترة من النصف الثاني من القرن ٧هـ/ ١٣م وحتى منتصف القرن ٨هـ/ ١٤م، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، العدد ٤، ٢٠٠٣م، ١٠٣٧.

[٢٨] مرسي، محمود، جامع التوريزي بمدينة دمشق ٨٢٣-٨٢٦هـ/١٤٢٠-١٤٢٣م دراسة أثرية معمارية، مجلة الإتحاد العام للآثاريين العرب، العدد٨، ٢٠٠٧م، ١٠٢.

كانت تلك سمة مميزة للمدن الشامية ومن ذلك مدينة حلب التي لم يوجد بها منشأة واحدة تتضمن أكثر من مئذنة واحدة[٢٩]. وقد بنيت مآذن تلك الفترة على نمط الأبراج المربعة وذلك طوال الفترة الزنكية والأيوبية ومن ذلك مئذنة جامع حسان ٥٥٧هـ/١١٦٢م، مئذنة المدرسة المرشدية ٦٥٠هـ/١٢٥٢م، وقد استمر هذا الشكل من المآذن حتى العصر المملوكي كمئذنة جامع التوريزي ٨٥٢هـ/ ١٤٢٢م. وبعد ذلك بدأت المئذنة المربعة في التلاشي لتحل المئذنة المثمنة محلها وذلك بتأثير من العمارة المصرية كمئذنة جامع هشام ٨٣١هـ/١٤٢٨م[٣٠].

٢. مراحل تقنين الطراز العثماني وشيوع الأساليب المحلية:

من خلال ما سبق يمكننا رسم صورة موجزة للملامح العامة التي ميزت العمارة الدينية بمدينة دمشق حتى قبيل مجيء العثمانيين، وذلك حتى يمكننا مقارنة هذه الملامح مع طرز وأنماط وتفاصيل العمائر الدينية التي استحدثت بالمدينة بعد خضوعها لسلطة العثمانيين، ويمكننا من خلال هذه المقارنة الوقوف على مدى تأثر عمائر المدينة الدينية خلال الفترة العثمانية بالطراز العثماني الوافد. ويمكننا أيضا الوقوف على حجم الجهود التي بذلها المعمار الدمشقي في سبيل دعم منافسة أساليبه المحلية لهذا الطراز الوافد، ومدى نجاح هذه الأساليب المحلية في الاستمرار خلال تلك الفترة على حساب الطراز العثماني. وبتطبيق ما سبق على العمائر الدينية الباقية بالمدينة خلال الفترة العثمانية تتضح هذه الظاهرة – موضوع البحث- وهي أن الطراز العثماني الوافد كان استخدامه محدودا، ويتبين كذلك نجاح الأساليب المحلية في تقنينه لصالحها ليكتب لها الانتشار والشيوع حتى بعد مجيء العثمانيين. ولكي يتم استيضاح هذه الظاهرة يمكن تقسيم العمائر الدينية التي شيدت بمدينة دمشق خلال الفترة العثمانية إلى ثلاث مجموعات، الأولى منها تتمثل في العمائر التي شيدت وفقا للطراز العثماني الوافد، الثانية عمائر الطراز الهجين، والمجموعة الثالثة يمثلها عمائر الطراز المحلي الخالص وذلك وفقا للجدول التالي:

جدول (١) يوضح تصنيف الطرز المعمارية للعمائر الدينية الباقية بمدينة دمشق خلال العصر العثماني

م	اسم الأثر	المنشئ	التاريخ	الموقع	الطراز المعماري
١	التكية السليمية (تكية الخنكار)	السلطان سليم الأول	٩٢٤هـ/ ١٥١٨م	حي الصالحية	محلي
٢	جامع الشيخ محي الدين (جامع الخنكار)	السلطان سليم الأول	٩٢٤هـ/ ١٥١٨م	حي الصالحية	محلي
٣	الزاوية الصمادية	الشيخ محمد بن خليل الصمادي	٩٣٢هـ/ ١٥٢٦م	الشاغور الجواني- داخل باب الصغير	هجين

[٢٩] عبد الرازق، منصور، الطرز المعمارية للمآذن الباقية بمدينة حلب، مجلة وقائع تاريخية، مج٢٠، ٢٠١٤م، ٣٤٥.
[٣٠] عبد الحق، سليم عادل & معاذ، خالد، *مشاهد دمشق الأثرية*، مطبوعات مديرية الآثار العامة والمتاحف، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٥٠م، ٥٨.

		الشافعي			
٤	جامع ومدرسة الأحمدية	الوالي شعبان أحمد شمسي باشا	٩٤٤هـ/ ١٥٣٨م	الجانب الغربي من سوق الحميدية	هجين
٥	التكية السليمانية	السلطان سليمان القانوني	٩٦٢هـ/ ١٥٤٤م	ساحة الشهداء/المرجة على حافة نهر بردي	عثماني وافد
٦	جامع سنان أغا/ المناخلية	سنان أغا بن عبد الله	أساسه أيوبي وجدد كليا ٩٧٠هـ/ ١٥٦٣م	سوق المناخلية	محلي
٧	جامع مصطفى باشا	لالا مصطفى باشا	٩٧٢هـ/ ١٥٦٥م	منطقة عين الكرش بشارع بغداد	محلي
٨	المدرسة السليمانية/السليمانية البرانية	السلطان سليمان القانوني	٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م	ساحة الشهداء/ المرجة على حافة نهر بردي	عثماني وافد
٩	جامع مراد باشا (النقشبندي)/ التكية المرادية	مراد باشا والي حلب	٩٨١هـ/ ١٥٧٣م	حي السويقة	هجين
١٠	جامع الدرويشية	الوالي درويش باشا بن رستم باشا	٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م	شارع دمشق المستقيم	هجين
١١	التكية المولوية	---	٩٩٣هـ/١٥٨٥م	حي البحصة	محلي
١٢	جامع الياغوشية	سياغوش باشا	٩٩٥هـ/ ١٥٨٧م	حارة الياغوشية بحي الشاغور الجواني	هجين
١٣	جامع السنانية	سنان باشا والى دمشق	٩٩٩هـ/١٥٩٠م	مقابل باب الجابية وسوق باب سريجة	هجين
١٤	تكية العسالي	كوجك أحمد باشا الأرنؤوطي	١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م	حي القدم	محلي
١٥	مسجد البكري/برويز باشا	جدده برويز باشا	١٠٦٩هـ/ ١٦٥٨م	محلة القيمرية	هجين
١٦	جامع الجوزة	بناه الأمير شاهين الفارسي وجدده كليا الحاج محمد بكري السقامبني	أساسه مملوكي وجدد كليا ١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م	محلة العقيبة	محلي

١٧	جامع المرادي/المدرسة المرادية البرانية	الشيخ مراد بن علي البخاري	١١٠٨هـ/١٦٩٧م	حارة الورد بسوق ساروجة	محلي
١٨	جامع حمان أغا/الجامع الصغير	حمان بن علي الصويري	١١٢٣هـ/ ١٧١١م	منطقة السويقة بالقرب من المرادية	محلي
١٩	مدرسة اسماعيل باشا/ جامع الخياطين	اسماعيل باشا العظم	١١٣١هـ/ ١٧١٩م	الشاغور الجواني	هجين
٢٠	جامع الشيخ عبد الغني النابلسي	---	بعد عام ١١٤٣هـ/ ١٧٣١م	حي الصالحية	محلي
٢١	مدرسة سليمان باشا/السليمانية الجوانية	سليمان باشا العظم	١١٥٠هـ/ ١٧٣٨م	باب البريد	هجين
٢٢	جامع القيمرية/المدرسة الفتحية	فتحي الدفتردار	١١٥٦هـ/ ١٧٤٢م	حي القيمرية	هجين
٢٣	جامع وزاوية سعد الدين	---	ق١٢هـ/ ١٨م	حي السويقة	هجين
٢٤	مدرسة عبد الله باشا	عبد الله باشا العظم	١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م	الشاغور الجواني	هجين
٢٥	مسجد السخانة/الشيخ عبد الغني الغنيمي	---	تاريخ السبيل الملحق ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧	ساحة السخانة بحي الميدان الفوقاني	محلي
٢٦	جامع الشيخ يعقوب	---	١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م	حي الميدان الفوقاني	محلي
٢٧	جامع الرفاعي	---	---	الميدان الوسطاني	محلي
٢٨	جامع فضل الله البصروي	---	١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م	غرب ساحة المرجة	محلي
٢٩	جامع يونس أغا	الشيخ يونس أغا الدقوري	١٢٤٧هـ/ ١٨٥٧م	منطقة ركن الدين بالصالحية	محلي
٣٠	تكية الشيخ خالد النقشبندي	---	١٢٥٨هـ/١٨٤٢م	حي ركن الدين بالصالحية	محلي
٣١	جامع سعيد باشا	سعيد باشا الدقوري أمير	١٣٠٨هـ/ ١٨٩١م	حي الأكراد	محلي

		الحج			
٣٢	جامع نافذ أفندي	أحمد أفندي التركي	١٣١٥هـ/ ١٨٩٨م	حي المهاجرين	محلي

٢ .١. المجموعة الأولى: عمائر الطراز العثماني الوافد:

يمثل هذه المجموعة تلك العمائر التي شيدت بالمدينة على الطراز العثماني الوافد سواء من حيث التخطيط العام أو من حيث التفاصيل المعمارية والزخرفية. أي أنها أنشئت كليا وفقا للأساليب المعمارية الوافدة التي استحدثت بالمدينة بعد الفتح العثماني، ولم يكن لها وجود قبل هذه الفترة. ويندرج تحت هذه المجموعة مثالين فقط من العمائر أولهما التكية السليمانية التي شيدت بالمدينة بساحة الشهداء أو ساحة المرجة على ضفاف نهر بردي بأمر من السلطان سليمان القانوني سنة ٩٦٢هـ/ ١٥٥٤م، والمثال الثاني المدرسة السليمانية التي شيدت بأمر من نفس السلطان وألحقت إلى جوار التكية في فترة لاحقة سنة ٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م جدول (١)، ويمكن اعتبار المثالين مجمع معماري واحد. ويتكون هذا المجمع المعماري من عدد من الوحدات المعمارية المختلفة الأغراض والوظائف تم الجمع فيما بينها في كيان معماري واحد، وهذا التكوين لم تعرف له مدينة دمشق مثيل قبل الفترة العثمانية وإنما جاء انعكاسا لما احتوته استانبول والمدن التركية من مجمعات معمارية ضخمة[٣١] كما هو الحال في المجمع المعماري لنفس السلطان بمدينة استانبول ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م شكل (٧)، وإن جاء مجمع السليمانية بدمشق أقل شأنا من الناحية المعمارية وهو أمر منطقي إذا ما قارنا العاصمة مع أحد الولايات التابعة لها.

وقد اجتمعت في مجمع السليمانية بدمشق كل الدوافع التي تجعل منه انعكاسا للعمارة العثمانية شكل (٨)، حيث أنه بني وفقا لأمر سلطاني وأشرف على البناء مهندسا أجنبيا من أصل إيراني وهو المهندس ملا أغا[٣٢]، وكان يعاونه في ذلك مهندسين أتراك، كما أن غالبية الصناع الذين أنجزوا العمل بهذا المجمع كانوا من الأتراك وليس من

[٣١] لم يكن نظام المجمعات المعمارية من ابتكار العمارة العثمانية باستانبول، وإنما جاء هذا النظام امتدادا لنظام المجمعات المعمارية بالعمارة السلجوقية، فمن المعروف أن العمارة العثمانية كانت امتدادا للعمارة السلجوقية في العديد من الأوجه، ويعتبر مجمع جوهر نسيبة بمدينة قيصري واحدا من الأمثلة المبكرة لنظام المجمعات المعمارية والذي يعود تاريخه لعام ٦٠٢هـ/١٢٠٥م، ويتكون هذا المجمع من بيمارستان ومدرسة وضريح، ثم أنشئ بعده مجمع خواند خاتون بنفس المدينة سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٨م، ويتكون من مسجد ومدرسة وضريح وحمام، وانتشرت بعد ذلك المجمعات المعمارية في مدن المشرق وتبناها العثمانيين في منشآتهم وأضافوا إليها الكثير حيث اتسمت مجمعاتهم بالمهابة وضخامة البناء. وقد عرفت بلاد الشام بشكل عام عمارة المجمعات بتأثير من العمارة العثمانية حيث بني أول مجمع معماري بالشام بمدينة حلب سنة ٩٥١هـ/ ١٥٤٤م أي بعد دخول العثمانيين إليها، وجاء المثال الثاني بمدينة دمشق وهو مجمع السليمانية ٩٦٢هـ/١٥٥٤م وذلك بتأثير من العمارة العثمانية أيضا، أما في مصر فقد ظهرت فيها عمارة المجمعات في فترة مبكرة عن بلاد الشام بتأثير مباشر من العمارة السلجوقية حيث بني أول مثال لنظام المجمعات المعمارية في عصر دولة المماليك البحرية سنة ٦٨٣-٦٨٤هـ/١٢٨٣-١٢٨٤م وهو المجمع الشهير للسلطان المنصور قلاوون. أصلان آبا، أوقطاي، *فنون الترك وعمائرهم*، ترجمة أحمد عيسى، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، ١٩٨٧، ٨٤؛ Abd al-Razik, Mansour, The local and foreign influences on religious architecture during the Ottoman period, journal of Faculty of archaeology, Cairo University, vol. 25, 2022, 421.

٣٢ أشار الأخوان ولتسينجر وواتسينجر أن أن هذا المهندس من أصل إيراني وهو من أشرف على بناء التكية وكان يعاونه مهندسين أتراك أشارا إلى أحدهم باسم مصطفى دون ذكر أية معلومات عنه، وقد ذهب البعض إلى أن من وضع التصميم هو المهندس الشهير سنان، وأن ملا أغا من قام بالإشراف الفعلي على البناء، وربما يكون ملا أغا هذا تلميذا للمعمار الشهير سنان. واتسينجر & ولتسينجر، *الآثار الإسلامية في دمشق*، ٢١٥.

الصناع المحليين[٣٣]. وبالتالي فإن الأمر السلطاني من جانب السلطان سليمان القانوني ببناء هذا المجمع كان الدافع الأول لتطبيق التقاليد المعمارية الجديدة بكل تفاصيلها[٣٤]، فالسلطان يمثل رأس السلطة في الدولة العثمانية ومن غير المنطقي بأن يقوم المهندس أو حتى الصناع بمخالفة الذوق الفني للسلطان خاصة وإن كانوا تابعين لنفس مدرسته الفنية. ويؤكد على ذلك بأن المنشآت التي أنشئت في المدينة في الفترات اللاحقة من جانب الولاة الذين هم أقل شأنا من السلطان قد تطرقت إليها التأثيرات المحلية بشكل ملحوظ، وكون المهندس المعماري لهذه المجموعة ومن عاونه من الصناع ليس لهم علاقة بالبيئة المحلية، فقد ساعدهم ذلك على تطبيق ذلك الذوق الفني الجديد دون التأثر بأي خلفيات معمارية سابقة فبدت هذه المجموعة وكأنها صورة صادقة للذوق الفني العثماني. وتنقسم هذه المجموعة المعمارية إلى قسمين رئيسيين، أولهما في الجانب الغربي وهو الأقدم ويضم مبنى التكية والمسجد الملحق بها، والقسم الثاني في الجانب الشرقي وقد تمت إضافته في فترة لاحقة بأمر من نفس السلطان ويضم المدرسة وملاحقها.

٢ .١ .١. التكية السليمانية:

تتكون التكية من مساحة مستطيلة تمتد من الشمال إلى الجنوب، ويضم هذا السور بداخله الوحدات المكونة للتكية وملاحقها والتي تبدأ بفناء متسع في الوسط يتوسطه بركة مستطيلة الشكل، ويلتف حول هذا الفناء وحدات التكية في تناظر دقيق يتفق مع المجمعات المعمارية بمدينة استانبول، ويكتنف الصحن من الجانبين الشرقي والغربي حجرات متراصة مغطاة بقباب ضحلة تتفق مع النمط العثماني[٣٥]، وفي الجانب الشمالي يوجد مطبخ التكية وحجرات تخزين المؤن وإقامة قيّمها وتغطيتها على النمط العثماني كذلك حيث القباب الضحلة والهرمية الشكل.

ويأتي على رأس وحدات التكية أهمية مسجدها الذي يشغل الجانب الجنوبي منها، ومخطط هذا المسجد يتفق تماما مع طرز المساجد العثمانية حيث يتكون من مساحة مربعة الشكل يغطيها بالكامل قبة ضخمة ترتكز على الجدارن الخارجية للمسجد دون أعمدة وسطية، ويتقدم بيت الصلاة رواق مزدوج غطي الداخلي بثلاث قباب ضحلة في حين جاء الرواق الخارجي أقل ارتفاعا وغطي بسقف مائل[٣٦]، ويكتنف مربع المسجد في المساحة الفاصلة بينه وبين الرواق الأمامي مئذنتان يمينا ويسارا شكل (٩)، ويتضح جليا أن هذا التخطيط متأثرا بالكثير من المساجد التركية التي تعد امتدادا في الأساس لبعض طرز المساجد السلجوقية باستثناء بعض التفاصيل ومن ذلك يشيل جامع أو الجامع الأخضر بإزنيك ٧٨٠-٧٩٤هـ/١٣٧٨-١٣٩١م[٣٧] شكل (١٠ - أ)، جامع داوود باشا باستانبول ٨٩٠هـ/

---

[٣٣] واتسينجر & ولتسينجر، *الآثار الإسلامية في دمشق*، ٤٢.

[٣٤] من الطبيعي أن يكون للحاكم دور فعال في تحديد الذوق الفني والمعماري للمنشآت التي يقوم بعمارتها خاصة وإن تزامن ذلك مع بداية الحكم التي تتسم بالقوة والهيمنة والنفوذ. وفي نفس الوقت لم يكن ذوقه الفني قد اختلط بالأساليب المحلية الموروثة وتأثر بها حيث أن ميول الحاكم أو المدرسة الفنية التي ينتمي إليها يكون لها تأثير مباشر على الولايات الجديدة. وقد حدث ذلك من قبل بمدينة دمشق حين سيطر عليها نور الدين محمود حيث جاءت عمائر المدينة في عهده متأثرة إلى حد كبير بالتيار الشرقي، ويتضح ذلك في قبته التي ألحقت بمدرسته فجاء طرازها غريبا عما عهدته المدينة وبلاد الشام بشكل عام. وقد انتشرت النماذج التي بنيت على نمطها هذه القبة في بلاد فارس والعراق كما هو الحال في ضريح السيدة زبيدة بمدينة بغداد بالعراق، ويتجلى ذلك أيضا في الباب الرئيسي للبيمارستان النوري بنفس المدينة والذي جاء مغايرا تماما عما يناظره بمدينة دمشق. ولكن سرعان ما عادت التقاليد المحلية الدمشقية تفرض سيطرتها مرة أخرى وبدأت التأثيرات الخارجية الوافدة تتلاشى شيئا فشيئا أو على الأقل قلت حدتها. واتسينجر & ولتسنيجر، *الآثار الإسلامية بمدينة دمشق*، ١٨، ١٩.

[٣٥] الحمصي، أحمد فائز، *روائع العمارة العربية الإسلامية في سورية*، دمشق، ١٩٨٢م، ٧٨.

[٣٦] واتسينجر & ولتسينجر، *الآثار الإسلامية بدمشق*، ٢١٩.

[37] Stierlin, Henri, *Turkey from the selçuks to the Ottomans*, Taschen, London, 2002, 85.

١٤٨٥م[٣٨]، جامع الخاتونية بمانيسا ٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م[٣٩] لوحة (٢)، جامع فيروز أغا باستانبول ٨٩٦هـ/ ١٤٩١م[٤٠] شكل(١٠ - ب). ولم يقتصر استخدام هذا الطراز من المساجد العثمانية على مدينة دمشق وإنما نجده أيضا في المساجد التي شيدت بمدينة حلب خلال العصر العثماني كجامع الخسروية ٩٥١هـ/ ١٥٤٤م شكل(١٠ - ج)، جامع العادلية ٩٦٣هـ/ ١٥٥٥م[٤١] شكل(١٠ - د)، جامع البهرامية ٩٩١هـ/ ١٥٨٣م[٤٢].

وفيما يتعلق بالتفاصيل المعمارية والزخرفية لهذا الجامع، فنلاحظ أنها تأثرت تأثرا مباشرا وملحوظ بالطراز العثماني الوافد، وذلك بداية من مئذنتي الجامع المطابقتين لنظام المئذنة العثمانية، ومدخل المسجد المتوج بصفوف من المقرنصات تم ترتيبها بهيئة مثلثة الشكل وهو الشكل المميز للمداخل العثمانية والتي تعد امتدادا لطرز المداخل السلجوقية[٤٣]. يضاف إلى ذلك أيضا محراب المسجد المتوج بطاقية مقرنصة رتبت مقرناصاتها بنفس هيئة مدخله، ولم تعرف مدينة دمشق هذا النمط من المحاريب إلا بعد الفتح العثماني[٤٤]. ومن عناصر المسجد المعمارية التي لم تعرفها دمشق إلا بعد الفتح العثماني العقود المستخدمة في المسجد وهي من نوع العقود المدببة ذات الأربعة مراكز، والتي تمتاز عن العقد المدبب التقليدي بكونها مقعرة للخارج قرب قمتها، هذا بالإضافة إلى العقود الموتورة التي لم تستخدم في تتويج الأبواب والنوافذ إلا بداية من تلك الفترة أيضا. ومن أفضل ما يشير إلى الطراز العثماني بالعناصر المعمارية للمسجد قبته الضخمة التي اعتمد عليها مخططه وبشكل أساسي في التغطية، ورقبتها المائلة للداخل، وكذلك بلاطات الرصاص التي تكسوها من الخارج. ومن تفاصيل المسجد الزخرفية التي استحدثت بدمشق خلال العصر العثماني لوحات القاشاني التي تزين أعلى نوافذ المسجد وما تشتمله من تفاصيل زخرفية نفذت على النسق العثماني[٤٥]. وخلاصة القول أن التكية السليمانية بمدينة دمشق مثلت الطراز العثماني الوافد أصدق تمثيل حيث جاء تخطيطها وعناصرها المعمارية بعيدة كل البعد عن الأساليب القديمة التي كانت سائدة بالمدينة قبل هذه الفترة، وذلك باستثناء بعض التفاصيل الثانوية التي لا تؤثر على كونها عثمانية الطابع[٤٦]، وهو ما يدلل على سيطرة الطراز الوافد بالمدينة وقت بناء هذه التكية.

---

[38] Goodwin, Godfrey, *A history of Ottoman architecture*, Thames and Hudson, London, 1971, fig. 107.

[39] Goodwin, *A history of Ottoman architecture*, 159.

[40] Freely, John, *A history of Ottoman architecture*, Wit press, Boston, 2011, 200.

[٤١] مرسي، محمود، جامع العادلية بحلب دراسة أثرية معمارية، المؤتمر الدولي السادس لمركز الدراسات البردية، جامعة عين شمس، ٢٠١٥م، ٤٢٨.

[42] Abd al-Razik, Mansour, Mosque of Bahram Pasha and its endowments in Aleppo (Syria), scientific culture, vol.3, issue 1, Greece, 2017, 4.

[43] Abd al-Razik, The local and foreign influences on religious architecture, 431.

[٤٤] ولتسينجر & واتسينجر، *الآثار الإسلامية في دمشق*، ١٩.

[٤٥] ظهرت بعض الأمثلة النادرة لاستخدام البلاطات الخزفية في تزيين جدران المنشآت بمدينة دمشق قبل العصر العثماني وخلال العصر المملوكي بجامع التوريزي ٨٢٥هـ/ ١٤٢٥م. مرسى، جامع التوريزي، ١١١.

[٤٦] على الرغم من أن التكية السليمانية وملاحقها نفذت وفقا للطراز العثماني سواء من حيث المخطط العام أو التفاصيل المعمارية والزخرفية، إلا أنها لم تسلم من بعض التأثيرات المحلية لمدينة دمشق كتنفيذ واجهات المسجد الخارجية وكذلك واجهات العقود بباقي الملاحق وفقا لنظام التناوب اللوني إلا أن ألوانها جاءت أكثر هدوءا عما تعارف عليها في دمشق خلال العصر المملوكي، كما أن بلاطات القاشاني التي تزين أعلى نوافذها ثبت أنها مصنوعة محليا ولكن وفقا للنسق العثماني، وعلى أية حال فإن هذه التأثيرات رغم وجودها إلا أنها لا تأثر على كون التكية مثالا صادقا للطراز العثماني الوافد ولا تعطي مجالا للشك للناظر إليها بأنها منشأة تركية الطراز. واتسينجر، ولتسينجر، *الآثار الإسلامية بمدينة دمشق*، ٢٢٤.

٢ .١. ٢. المدرسة السليمانية:

تشغل المدرسة السليمانية[٤٧] والبازار الذي يتقدمها الجانب الشرقي من مجمع السليمانية، وقد جاء تخطيط المدرسة بعيدا تماما عن مخطط المدرسة الموروث بمدينة دمشق والذي تعارف عليه في العصور السابقة للعصر العثماني. وتبنت المدرسة الطراز التركي في تخطيطها والذي اشتهر خلال العصر العثماني في الولايات التابعة للدولة العثمانية بمصطلح التكية. وتتكون المدرسة في مجملها من فناء أوسط مكشوف يحيط به من جميع الجهات حجرات الطلبة يتقدمها رواق يلتف حول الصحن من جميع جهاته، والمدرسة ملحق بها بالضلع الجنوبي المصلى الذي تبنى أيضا المخطط التركي حيث يتكون من مساحة مربعة مغطاة بقبة ويتقدمه رواق يشرف على داخل الصحن ببائكة ثلاثية[٤٨] شكل (٨).

ويتضح من مخطط هذه المدرسة انسجامه مع مخططات المدارس العثمانية وتأثره المباشر بها، ومن ذلك على سبيل المثال مدرسة سليمان باشا بمدينة إزنيك[٤٩] شكل(١١ - أ)، المدرسة المحلقة بمجمع السلطان بيازيد الثاني بأدرنة ٨٩٣هـ/ ١٤٨٨م[٥٠] شكل (١١ - ب). وقد انتشر هذا المخطط بالكثير من نماذج المدارس المتأثرة بالطراز العثماني ببعض ولايات الدولة العثمانية ومن ذلك المدرسة السليمانية ٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م شكل (١١ - ج)، ومدرسة السلطان محمود بمدينة القاهرة ١١٦٤هـ/ ١٧٥٠م[٥١]. ومن ذلك أيضا مخطط المدرسة العثمانية بمدينة حلب ١١٤١هـ/ ١٧٣٠م[٥٢] شكل (١١ - د).

وعلى الرغم من أن المدرسة السليمانية بدمشق تعد انعكاسا واضحا للطراز العثماني الوافد ونتاجا مباشرا للتأثر بهذا الطراز، إلا أنها في الوقت ذاته كانت أكثر عرضه للتأثيرات المحلية إذا ما قورنت بالتكية السليمانية المجاورة لها. ومن ذلك قلة الفراغات الموجودة بين ملاحقها ووحداتها فجاء توزيع وحداتها أكثر ازدحاما بما يتوافق من الأسلوب المحلي لعمائر دمشق وبعكس التكية السليمانية[٥٣]، ومن ذلك أيضا أن القبة التي تغطي إيوانها الرئيسي مقامة على رقبة منسجمة مع النمط المحلي وليست مائلة للداخل كما في التكية السليمانية، كما أن خوذتها مكسوة بطبقة من الميلاط وليس بألواح الرصاص كما هو متعارف عليه في العمائر العثمانية. وقد تم إحلال بعض العناصر المحلية داخل المدرسة بدلا من العناصر الوافدة كاستخدام العقد المدبب التقليدي الموروث، وكذلك محراب المدرسة الذي جاء مستهجنا أي أنه يجمع بين النمط الوافد والمحلي[٥٤]. وعلاوة على العناصر المعمارية تضمنت المدرسة بعض العناصر

---

[٤٧] ذكرها الأخوان واتسينجر وولتسينجر باسم التكية السليمية ونسباها إلى السلطان سليم الثاني، وتبعهما على ذلك الكثير من الباحثين مما أدى حدوث الكثير من اللغط حولها، ولكن الصحيح أن هذا المبنى ما هو إلا مدرسة بنيت على نسق المدارس العثمانية، وأن من ألحقها بمبنى التكية المجاور لها هو نفسه السلطان سليمان القانوني ليكمل بذلك مجموعته المعمارية على نسق المجمعات العثمانية بتركيا. الريحاوي، عبد القادر، الأبنية الأثرية في دمشق، دراسة وتحقيق التكية والمدرسة السليمانيتان بدمشق، الحوليات الأثرية العربية السورية، مج٧، ج١، ٢، ١٩٥٧م، ١٢٥-١٣٤.

[٤٨] الريحاوي، عبد القادر، الآثار العربية الإسلامية، ٢٩٥.

[49] Goodwin, *A history of Ottoman architecture*, 39.

[50] Freely, *A history of Ottoman architecture*, 72.

[٥١] أبو العمايم، محمد، *آثار القاهرة الإسلامية في العصر العثمانية*، مج١، المساجد والمدارس والزوايا، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول، استانبول، ٢٠٠٣م، ٦١، ٣٨٦.

[52] Abd al-Razik, The local and foreign influences, 421.

[٥٣] ولتسينجر& واتسينجر، *الآثار الإسلامية في دمشق*، ٢٢٦.

[٥٤] ولتسينجر& واتسينجر، *الآثار الإسلامية في دمشق*، ٢٣١.

الزخرفية التي تعد استمرارا للأساليب الموروثة مثل الزخارف الهندسية والنباتية المنفذة بالحفر البارز والغائر على الحجر بدلا من الحشوات الخزفية.

ووجود هذه التأثيرات المحلية بالمدرسة إن دل على شيئ فإنه يدلل على سعي المعمار الدمشقي شيئا فشيئا إلى إحلال أساليبه المحلية محل الوافدة، وعلى سعيه الدؤوب لتقويض الطراز الوافد الذي تم استحداثه بعمائر مدينته خلال تلك الفترة. ويدلل على ذلك أن التكية السليمانية تكاد تخلو من بصمته، ثم بدأت بصماته هذه تتضح على مبنى المدرسة حين أتيحت له الفرصة لذلك. وعلى أية حال فرغم وجود ما تم ذكره من تأثيرات محلية إلا أنها لا ترقى إلى التأثير على المظهر التركي العثماني لهذه المدرسة، ولا يلحظ هذه التأثيرات المحلية إلا الباحث المدقق، لذا فيمكن اعتبارها عثمانية الطابع في مخططها وعناصرها، ولذلك تم إدراجها ضمن المجموعة الأولى من التصنيف المتبع في هذه الدراسة.

٢ . ٢. المجموعة الثانية: عمائر الطراز الهجين:

يقصد بالطراز الهجين بهذه الدراسة ذلك الطراز الذي يجمع بين سمات ومميزات الطراز العثماني وكذلك الطراز المحلي الدمشقي سواء من حيث التخطيط أو من حيث العناصر المعمارية. ويمثل هذا الطراز مجموعة من العمائر الدينية التي شيدت بمدينة دمشق خلال العصر العثماني وفقا للطراز الوافد من حيث التخطيط العام، ولكن بعد نجاح المعمار الدمشقي في استهجان هذا الطراز لتظهر المنشآت التي شيدت وفقا له بمسحة دمشقية محلية تعبر تعبيرا واضحا عن استمرار الأساليب المحلية. وما يميز عمائر هذه المجموعة عن عمائر المجموعة الأولى هو تطرق الأساليب المحلية إلى التخطيط نفسه إضافة إلى عناصره المعمارية والزخرفية بعكس عمائر المجموعة الأولى. وقد شيدت غالبية عمائر هذه المرحلة بعد مجمع السليمانية ٩٦٢-٩٧٤هـ/ ١٥٥٤-١٥٦٦م باستثناء بعض الأمثلة المبكرة، وهو ما يؤكد على أن ظاهرة تقنين الطراز العثماني الوافد وشيوع الأساليب المحلية على حساب هذا الطراز قد تمت على مراحل متتالية.

ويندرج تحت هذه المرحلة الكثير من المساجد والمدارس التي تبنت في تخطيطها العام الطراز العثماني الوافد بمخططاته المختلفة التي استحدثت بالمدينة بعد مجيئ العثمانيين ولم يكن لها وجود قبل ذلك، ومن ذلك مخطط يتكون من مصلى يعتمد في تخطيطه على مساحة مغطاة بقبة ضخمة، ويتقدمه رواق مستعرض مغطى بقباب ضحلة، ويشرف ذلك المصلى على فناء يتوسطه فسقية، ومن أمثلة ذلك جامع الدرويشية ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م شكل (١٢ - أ)، جامع الياغوشية ٩٩٥هـ/ ١٥٨٧م، وجامع السنانية ٩٩٩هـ/ ١٥٩٠م شكل (١٢ - ب). وهناك مخطط آخر تبنته المدارس والتكايا قوامه فناء محاط بغرف إقامة الطلاب يتقدمها رواق يحيط بأضلاع الفناء، وبالضلع الجنوبي ألحق المصلى ومن ذلك التكية المرادية أو جامع النقشبندي ٩٨١هـ/ ١٥٧٣م، مدرسة اسماعيل باشا العظم ١١٣١هـ/ ١٧١٩م شكل (١٣ - أ)، مدرسة سليمان باشا العظم ١١٥٠هـ/ ١٧٣٨م شكل (١٣ - ب)، المدرسة الفتحية المعروفة بجامع القيمرية ١١٥٦هـ/ ١٧٤٢م شكل (١٣ - ج)، ومدرسة عبد الله باشا العظم ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م شكل (١٣ - د). ومن المخططات الوافدة التي استحدثت بالعمائر الدينية بمدينة دمشق بعد مجيئ العثمانيين مخطط المسجد القبة الذي شاع استخدامه في العمارة العثمانية المبكرة بتركيا بتأثير من العمارة السلجوقية، وقد استخدم هذا المخطط مع الاختلاف في بعض التفاصيل بمدينة دمشق في بعض نماذج المساجد الصغيرة والزوايا كالزاوية الصمادية ٩٣٢هـ/

١٥٢٦م[٥٥]، مسجد البكري المعروف بمسجد برويز باشا ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٨م شكل (١٤ - أ)، وجامع وزاوية سعد الدين الجباوي ق ١٢هـ/ ١٨م شكل (١٤ - ب).

وفي الوقت الذي أنشئت فيه هذه المجموعة من العمائر الدينية وفقا للطراز العثماني الوافد الذي لم يكن له وجود بمدينة دمشق قبل الفترة العثمانية، فإنها نفذت في الوقت ذاته بمسحة محلية، فبداية من عمائر هذه المرحلة بدأت الأساليب المحلية التي تأصلت بمدينة دمشق على مدى قرون عديدة تفرض نفسها على حساب الطراز العثماني الوافد، وبدأ المعمار الدمشقي في تقنين هذا الطراز المستحدث ليفسح المجال أمام أساليبه المحلية التي تعود عليها لكي تظهر وتنشر حتى بدأت منشآت هذه المرحلة تتجانس مع المنشآت القديمة التي أنشئت بالمدينة في الفترة السابقة على العصر العثماني. وهكذا ظهرت مجموعة من العمائر جمعت بين الأساليب الوافدة والمحلية وهي ما يمكن أن نطلق على طرازها المعماري اسم الطراز الهجين جدول (١). ويمكن رصد الأساليب المحلية التي تم إدخالها إلى جانب الطراز العثماني الوافد على مستوى التخطيط المعماري لهذه المجموعة من العمائر وكذلك أيضا على مستوى تفاصيلها المعمارية والزخرفية على النحو التالي:

٢ . ٢. ١. التخطيط المعماري:

أهم ما يمكن ملاحظته حول تأثير الأساليب المحلية على المخطط العثماني الوافد الذي استخدم في عمائر هذه المجموعة هو تخطيط المصلى أو بيت الصلاة الذي نفذ بمسحة محلية ببعض النماذج، ومن ذلك تخطيط بيت الصلاة أو المصلى بمدرسة اسماعيل باشا العظم ١١٣١هـ/١٧١٩م شكل (١٣ - أ)، حيث نجد أن المصلى الملحق بهذه المدرسة لم ينفذ وفقا للأسلوب العثماني الذي يتكون في الغالب من تخطيط مربع تهيمن فيه القبة على كافة مساحته أو أغلبها، وإنما نفذ على شكل إيوان مستعرض يمتد عرضيا بمحاذاة الصحن، وفي الوقت ذاته تم تقسيمه على طريقة القلب والجناحين وقد غطيت المساحة المركزية بقبة في حين غطي الجناحين بقبوين متقاطعين متوافقا بذلك مع المخطط المحلي كما سبق وتقدم. ومن ذلك أيضا المصلى الملحق بمدرسة سليمان باشا العظم ١١٥٠هـ/ ١٧٣٨م[٥٦] شكل (١٣ - ب)، وكذلك الإيوان الرئيسي أو المصلى الملحق بالمدرسة الفتحية المعروفة بجامع القيمرية ١١٥٦هـ/ ١٧٤٢م شكل (١٣ - ج). وقد جاء بيت الصلاة بكل من جامعي الدرويشية ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م شكل (١٢ - أ)، والسنانية ٩٩٩هـ/ ١٥٩٠م شكل (١٢ - ب) متوافقا مع الأسلوب العثماني من حيث تغطيته بقبة ضخمة وفي الوقت ذاته بدا عليه التأثير المحلي من حيث كونه مستعرضا في كلا المثالين. وهذا النمط من الإيوانات المستعرضة هو ما تعارف عليه في المنشآت السابقة على الفترة العثمانية بمدينة دمشق ويعد من مميزات المنشآت الدينية في العصور الزنكية والأيوبية وكذلك المملوكية[٥٧] ومن ذلك الإيوان الرئيسي بدار الحديث النورية ٥٥٩هـ/ ١١٦٤م[٥٨] شكل (١٥ - أ)، الإيوان الرئيسي بالمدرسة العادلية ٦١٩هـ/ ١٢٢٢م الذي يمتد عرضيا بمحاذاة صحن المدرسة وتم تغطيته بثلاث أقبية متقاطعة شكل (١٥ - ب)، والإيوان الرئيسي بالمدرسة الإخنائية ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م.

[٥٥] النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ١٧١.

[٥٦] رشدي، غادة، طراز بناء المدارس بمدينة دمشق في العصر العثماني، دراسة معمارية، مجلة كلية الآداب جامعة طنطا، العدد ٢١، ٢٠٠٨م، ١٢٦٤.

[٥٧] الريحاوي، *العمارة العربية الإسلامية*، ١٣٥.

[58] Herzfeld, Ernst, Damascus: Studies in architecture I, Ars Islamica, vol. 9, 1942, 51.
العلبي، أكرم، *خطط دمشق – دراسة تاريخية شاملة*، دار الطباع، دمشق، ١٩٨٩م، ٩٠.

وبالنظر إلى مخطط جامع النقشبندي المعروف بالتكية المرادية ٩٨١هـ/ ١٥٧٣م نلاحظ أن هناك شذوذ في موضع بيت الصلاة الذي من المعتاد في المخطط العثماني أن يكون بمنتصف الضلع الجنوبي أو المواجهة لجهة القبلة، ولكن بهذا المسجد حل المدخل الرئيسي للجامع محل بيت الصلاة، في حين جاء بيت الصلاة في أقصى الجهة الجنوبية الغربية على غير المعتاد شكل (١٦)، والمرجح أن السبب في اضطرار المعمار إلى نقل بيت الصلاة لهذا الموضع كان بفعل تأثير الموقع نتيجة مرور الشارع الرئيسي أمام تلك الجهة فحال دون بروز بيت الصلاة فابتعد ببروزه إلى يمين الجهة الجنوبية، ولذلك جاء موضع بيت الصلاة مغايرا لموضعه المعتاد في المخطط العثماني على الرغم من موافقته من حيث التخطيط المكون من مربع مغطى بقبة يتقدمه سقيفه[٥٩].

ومن مظاهر التأثيرات المحلية على المخطط العثماني بعمائر دمشق الدينية ما نراه بمسجد ومدرسة الأحمدية ٩٤٤هـ/ ١٥٣٨م، حيث يتكون مخطط هذه المدرسة من فناء محاط برواق تصطف خلفه حجرات الإقامة التي يبلغ عددها عشرون حجرة، وبالجانب الجنوبي خلف الرواق المذكور نجد المصلى[٦٠] وهو ما يتوافق مع التخطيط التركي للمدرسة، وفي الوقت ذاته جاء تخطيط المصلى نفسه استمرارا للأساليب المحلية حيث يتكون من مستطيل عرضي مسقوف بسقف خشبي مسطح يرتكز على ثلاث عقود عمودية[٦١]، وذلك بدلا من استخدام المساحة المربعة التي تغطيها قبة في المخطط العثماني.

وفي مخطط المدرسة الفتحية المعروفة بجامع القيمرية ١١٥٦هـ/١٧٤٢م، ألحق المعمار إيوانا خلف كتلة المدخل الرئيسي داخل المدرسة بالضلع الشمالي للصحن واستخدمه كدركاة توزيع شكل (١٣ - ج)، فأصبح المخطط العام للمدرسة وكأنه مشابها للمخطط الإيواني الذي تعارف عليه في تخطيط المدارس في الفترات السابقة على الفترة العثمانية[٦٢]. وفي جامع البكري المعروف بجامع برويز باشا ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٨م[٦٣]، نجد المسجد مكون من مساحة مربعة مغطاة بقبة متأثرا بذلك بطراز المسجد القبة في تركيا، وفي الوقت ذاته تم إلحاق مساحة مربعة أخرى استخدمت كمصلى إضافي إلى جوار المصلى الأساسي فأصبح المسجد مكونا من مربعين متجاورين شكل (١٤ - أ) ويذكرنا بذلك ببعض نماذج التربة بمدينة دمشق كما هو الحال في المدرسة والتربة الفاروخشاهية ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م[٦٤] شكل (١٧ - أ)، والمدرسة والتربة الجهاركسية ٦٠٨-٦٣٥هـ/ ١٢١١-١٢٣٧م[٦٥] شكل (١٧ - ب).

ومن مظاهر التأثيرات المحلية على المخطط العثماني الوافد بعمائر هذه المجموعة إلحاق التربة أو القبة المدفن ضمن تكوين المخطط المعماري، وقد ظهر ذلك التأثير بعمائر هذه المجموعة بجامع النقشبندي ٩٨١هـ/ ١٥٧٣م حيث تضمن مخطط الجامع قبة دفن بالزاوية الجنوبية الشرقية[٦٦] من البناء إلى جوار كتلة المدخل الرئيسي أي في نفس الموضع المفضل لدى المعمار المحلي شكل (١٦). وقد شاعت فكرة إلحاق التربة بالعمائر الزنكية والأيوبية والمملوكية وقل أن نجد مسجدا أو مدرسة إلا وألحقت القبة المدفن بداخله ودائما ما كانت هذه التربة تلحق

---

[59] Boqvist, Architecture et développement urbain à Damas, 162.

[٦٠] بن عبد الهادي، يوسف، *ثمار المقاصد في ذكر المساجد*، تحقيق محمد أسعد طلس، بيروت ١٩٤٣م، ١٩١.

[٦١] استبدل السقف الخشبي الأصلي في الوقت الحالي بسقف حديث من الخرسانة.

[٦٢] الريحاوي، العمارة العربية الإسلامية، ١٣٥.

[٦٣] بن عبد الهادي، ثمار المقاصد، ١٨٩.

[٦٤] شميساني، حسن، مدارس دمشق في العصر الأيوبي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣م، ٨٥-٨٧؛ منصور، محمد عبد القادر، الخوانق والتكايا الباقية بمدينة دمشق من العصرين المملوكي الجركسي والعثماني، رسالة دكتوراه، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠١٣م، ٩٠٥.

[65] Herzfeld, Ernst, Damascus: Studies in architecture III, Ars Islamica, vol. 11, 1946, 50.

[٦٦] الشهابي، قتيبة، *مشيدات دمشق ذوات الأضرحة وعناصرها الجمالية*، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٩٥م، ١٧.

إلى جوار المداخل الرئيسية للمنشآت ومن ذلك المدرسة المارداني ٦١٠هـ/ ١٢١٤م، المدرسة العادلية الكبرى ٦١٩هـ/ ١٢٢٢م شكل (١٥ - ب)، المدرسة الركنية ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م، المدرسة الأفريدونية ق٨هـ/ ١٤م شكل (٥)، والمدرسة الصابونية ٨٦٨هـ/ ١٤٦٤م.

٢ .٢. ٢. الواجهات:

شيدت هذه المجموعة من العمائر ذات الطراز الهجين وفقا للمخطط العثماني الوافد، وبرغم ذلك جاءت واجهاتها منسجمة مع الواجهات المحلية التي استقرت بمدينة دمشق لا سيما خلال العصر المملوكي. ومن المعروف أن واجهات المنشآت تعد عنوانا لها ودليلا على المدرسة الفنية التي تنتمي إليها، فالناظر إلى هذه المجموعة من العمائر يخيل إليه من الوهلة الأولى أنها تنتمي للمدرسة المحلية الدمشقية رغم أن مخططاتها لم تعهدها المدينة قبل الفترة العثمانية. وقد امتازت الواجهات المحلية السابقة على الفترة العثمانية بالتناوب اللوني الذي تبدو فيه الواجهات مشرقة وبراقة[٦٧]، وشاع استخدام الألوان الأبيض والأسود والأصفر والبني، وفي الوقت ذاته استخدمت هذه الألوان لتغطية كافة مساحة الواجهة وكافة تفاصيلها لا سيما خلال العصر المملوكي، بعد أن كانت قاصرة على أجزاء معينة منها كالأبواب والنوافذ والعقود، وهو ما امتازت به دمشق عن غيرها من المدن الشامية[٦٨].

وقد استمرت الواجهات المحلية بمميزاتها السابقة بالمنشآت الدينية بدمشق خلال العصر العثماني وذلك بعمائر تلك المجموعة ذات الطراز الهجين، ومن ذلك الزاوية الصمادية بالشاغور الجواني ٩٣٢هـ/ ١٥٢٦م لوحة (٣ - أ)، جامع النقشبندي أو التكية المرادية بحي السويقة ٩٨١هـ/ ١٥٧٣م لوحة (٣ - ب)، جامع الدرويشية بالشارع المستقيم ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م لوحة (٣ - ج)، جامع الياغوشية بحارة الياغوشية بالشاغور الجواني ٩٩٥هـ/ ١٥٨٧م، جامع السنانية ٩٩٩هـ/ ١٥٩٠م لوحة (٣ - د)، جامع البكري المعروف بجامع برويز باشا بمحلة القيمرية ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٨م، المدرسة الاسماعيلية بالشاغور الجواني ١١٣١هـ/ ١٧١٩م، جامع القيمرية أو المدرسة الفتحية بحي القيمرية ١١٥٦هـ/ ١٧٤٢م، جامع وزاوية سعد الدين بحي السويقة ق١٢هـ/ ١٨م، مدرسة عبد الله باشا العظم بالشاغور الجواني ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م. ولم يقتصر التناوب بهذه الألوان البراقة على الواجهات الخارجية فقط لهذه العمائر، وإنما نراه كذلك في الواجهات الداخلية المطلة على الصحن كما في الزاوية الصمادية ٩٣٢هـ/ ١٥٢٦م، وجامع الياغوشية ٩٩٥هـ/ ١٥٨٧م. بل واستخدم كذلك داخل بيت الصلاة نفسه فامتدت هذه المداميك الملونة بامتداد جدار القبلة كما في جامع النقشبندي ٩٨١هـ/ ١٥٧٣م. وقد أشار الأخوان كارل واتسينجر، وكارل ولتسينجر بأن الإفراط في استخدام التناوب اللوني والزخرفي في هذه العمائر كان أكثر مما يتطلبه الذوق الفني العثماني في تنفيذ الواجهات خاصة في ظل استخدام البلاطات الخزفية الملونة أعلى فتحات النوافذ التي تتخللها، حيث تحتاج البلاطات الخزفية الملونة إلى أسطح هادئة وملساء حتى يظهر تأثيرها، ووجودها وسط الألوان المتناوبة والبراقة قلل من تأثيرها[٦٩]. وهكذا فإن الإصرار على استخدام التناوب اللوني الذي كان من مميزات المنشآت الدمشقية يعد تأكيدا على نجاح المعمار الدمشقي في فرض أساليبه المحلية على الذوق الفني العثماني خاصة في ظل وجود البلاطات الخزفية

[٦٧] واتسينجر & ولتسينجر، *الآثار الإسلامية في دمشق*، ٢٥.
[٦٨] الريحاوي، *العربية العربية الإسلامية*، ١٨٣.
[٦٩] واتسينجر & ولتسينجر، *الآثار الإسلامية بدمشق*، ٢٢٣.

التي استحدثت في الفترة العثمانية لتزين أعلى النوافذ والتي ثبت أنها هي الأخرى مصنوعة محليا داخل مدينة دمشق رغم أن زخارفها منفذة على النمط العثماني[٧٠].

٢ .٢ .٣. المداخل:

استحدث بمدينة دمشق نمطا جديدا من أنماط المداخل الخاصة بالمنشآت الدينية لم يكن موجودا بالمدينة قبل الفترة العثمانية وهو المدخل الذي شاع استخدامه بالمنشآت العثمانية بتركيا والذي يعد استمرار للمداخل السلجوقية، ويتكون هذا المدخل من دخلة عميقة يتوجها طاقية يشغلها مقرنصات يتم ترتيبها على شكل مثلث قمته لأعلى، وقد ظهر هذا النمط في مثال واحد فقط من عمائر دمشق الدينية وذلك بالجامع المحلق بمجمع السليمانية بساحة المرجة ٩٦٢هـ/١٥٥٤م، والذي يعد أصدق مثال للطراز العثماني الوافد سواء في مخططه أو تفاصيله المعمارية لوحة (٤).

وبعد هذا النموذج الوحيد من المداخل بالمنشآت الدينية، بدأ النمط المحلى للمداخل يفرض نفسه، ونجح في تقويض النمط الوافد وعدم ظهوره مرة أخرى. وانتشرت أنماط المدخل المحلي بعمائر هذه المجموعة من العمائر التي شيدت وفقا للطراز العثماني الهجين. ومن أنماط المداخل المحلية بهذه المجموعة من المنشآت النمط البسيط المكون من دخلة يتوجها عقد مدبب في صدرها فتحة الدخول التي تصل لداخل المنشأة، وقد ظهر هذا النمط بالمدخل الرئيسي للزاوية الصمادية بالشاغور الجواني ٩٣٢هـ/ ١٥٢٦م لوحة (٥ - أ)، مدخل المدرسة الأحمدية بسوق الحميدية ٩٤٤هـ/ ١٥٣٨م[٧١]، مدخل جامع الدرويشية بالشارع المستقيم ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م. وقد ظهر هذا النمط من المداخل في الكثير من العمائر الدينية بدمشق في الفترة السابقة على مجيئ العثمانيين ومن ذلك المدرسة الركنية بالصالحية ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م، المدرسة المرشدية بحي المدارس ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م[٧٢] لوحة (٥ - ب)، مدخل المدرسة الإخنائية بحي الكلاسة بمنطقة باب البريد ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م، ومدخل جامع الورد بحي الورد ٨٣٠هـ/ ١٤٢٧م.

وهناك نمط آخر من المداخل يعد أكثر بساطة في تكوينه من النمط السابق يتكون من مجرد فتحة معقودة في سمت جدار الواجهة دون أن تحتويها دخلة في الجدار كما في النمط السابق، وقد انتشر ظهور هذا النمط في العمائر ذات الطراز الهجين ومن ذلك المدخل الرئيسي للمدرسة الاسماعيلية بالشاغور الجواني ١١٣١هـ/ ١٧١٩م، مدخل جامع القيمرية أو المدرسة الفتحية بحي القيمرية ١١٥٦هـ/ ١٧٤٢م لوحة (٥ - ج)، والمدخل الرئيسي لمدرسة عبد باشا العظم بالشاغور الجواني ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م. ويعد هذا النمط استمرار للأساليب المحلية حيث سبق ظهوره في الكثير من العمائر المبكرة بمدينة دمشق بنفس التكوين البسيط المشار اليه مع الاختلاف في شكل العقد المستخدم في تتويج فتحة الدخول، ففي العمائر العثمانية استخدم العقد الموتور كما في النماذج السابق الاشارة إليها، أما في العمائر السابقة على الفترة العثمانية فقد شاع استخدام العقد المستقيم، ومن ذلك مدخل جامع حسان بمنطقة باب الجابية ٥٥٧هـ/ ١١٦٢م، مدخل المدرسة الجهاركسية بحي الصالحية ٦٠٨هـ/ ١٢١١م لوحة (٥ - د)، ومدخل جامع عز الدين بمنطقة باب سريجة ق١٠هـ/ ١٦م.

ومن أنماط المداخل المحلية التي شاعت بعمائر الطراز الهجين المدخل ذو الطاقية المقرنصة الذي يتكون من دخلة عميقة متوجة بطاقية مقرنصة في صدرها فتحة الدخول ومن ذلك مدخل الحرم بجامع النقشبندي ٩٨١هـ/ ١٥٧٣م، وكذلك المدخل الرئيسي لجامع السنانية بالقرب من باب سريجة ٩٩٩هـ/١٥٩٠م الذي يعد استمرارا لهذا النمط من المداخل المحلية وذلك باستثناء الحشوة الخزفية التي تزين أعلى فتحة الدخول والمزينة بأعواد السرو على

[٧٠] واتسينجر & ولتسينجر، *الآثار الإسلامية بدمشق*، ٢٢٤.
[٧١] ابن عبد الهادي، *ثمار المقاصد*، ١١٩.
[72] Herzfeld, Damascus: studies in architecture III, 65.

النمط العثماني[٧٣]، وكذلك العقد الموتور الذي يتوج فتحة الدخول في حين تعتمد المداخل المحلية على العقد المستقيم، ويضاف إلى ما تقدم غياب المكسلتين الذي اعتدنا على وجودهما في المداخل المحلية لوحة (٦ - أ). وقد ظهر هذا النمط من المداخل في مدينة دمشق في فترة مبكرة حيث بدأ ظهوره في البيمارستان النوري ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م، إلا أن مقرنصاته لم تأخذ شكل الطاقية التقليدية المألوفة وإنما نفذت بتأثيرات مشرقية[٧٤]، وظهر هذا النمط بشكله التقليدي بداية من المدرسة الصاحبية بالصالحية ٦٢٨هـ/ ١٢٣١م شكل (٦ - أ) ولكن دون وجود المكسلتين، وظهر بوجود المكسلتين بالمدرسة الأتابكية بالصالحية ٦٤٠هـ/ ١٢٤٣م[٧٥] شكل (٦ - ب)، وكذلك المدخل الرئيسي للمدرسة الظاهرية بالقرب من الجامع الأموي ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م[٧٦] لوحة (٦ - ب)، والمدخل الجانبي لجامع بردبك المعروف بالجامع المعلق خارج باب الفرج ٨٥٩هـ/ ١٤٥٥م[٧٧].

ومن بين المداخل التي شاع ظهورها بالعمائر السابقة على الفترة العثمانية لا سيما العصر المملوكي، واستمر ظهورها بالعمائر العثمانية ذات الطراز الهجين بتأثير من الأساليب المحلية المدخل ذو العقد المدايني كما هو الحال في المدخل الرئيسي لجامع النقشبندي أو التكية المرادية بحي السويقة ٩٨١هـ/١٥٧٣م وهو نوع متطور من العقود المداينية حيث ترتكز طاقيته على أربعة أرجل مروحية[٧٨] لوحة (٧ - أ)، وظهر بصورته البسيطة بمدخل جامع الياغوشية بحارة الياغوشية بالشاغور الجواني ٩٩٥هـ/ ١٥٨٧م لوحة (٧ - ب)، ومدخل مدرسة سليمان باشا العظم بباب البريد ١١٥٠هـ/ ١٧٣٨م. ومن أمثلة هذا النمط من المداخل في العمائر المملوكية بمدينة دمشق المدخل الرئيسي لجامع التوريزي بحي السويقة ٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م[٧٩] لوحة (٧ - ج)، ودخلة السبيل الملحق بالمدرسة الشاذبكية بحي القنوات ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م[٨٠] لوحة (٧ - د).

٢ .٢ .٣. المآذن:

---

[٧٣] عبد الوهاب، *التأثيرات المعمارية بين آثار سوريا ومصر*، ٢٢.

[74] Herzfeld, Damascus: studies in architecture I, fig. 43.

[75] Herzfeld, Damascus: studies in architecture I, 12.

[٧٦] مرسي، دراسة لمجموعة من العمائر الإسلامية الدينية الباقية بمدينة دمشق، ١٠٣٨.

[٧٧] مرسي، محمود، جامع الأمير بردبك بدمشق،دراسة أثرية معمارية، المؤتمر الدولي السادس: الموروثات القديمة بين الشفافية والكتابية والتجسيد، مركز الدراسات البردية والنقوش، جامعة عين شمس، ٢٠١٥م، ٢٧٠.

[٧٨] كان استخدام العقود المداينية لتتويج المداخل من مبتكرات العمارة المملوكية بالقاهرة رغم ظهوره بمثال مبكر بالمدرسة المقدمية في حلب ٥٦٣هـ/ ١١٦٨م لكن هذا المثال لم يكتب له الانتشار أو التطور إلا بعد بلورته على يد المعمار المملوكي بالقاهرة، حيث ظهر هذا النوع من العقود بصورته البسيطة لتتويج المداخل للمرة الأولى بمدخل مئذنة سلار وسنجر الجاولي بشارع مراسينا ٧٠٣هـ/ ١٣٠٤م، والمدخل الشمالي الشرقي لجامع الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة ٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م، ثم ظهر بصورته المركبة التي تتميز بشغل طاقيته بصفوف من المقرنصات للمرة الأولى بمدخل جامع أسنبغا البوبكري بدرب سعادة ٧٧٢هـ/١٣٧١م، ثم تطور بعد ذلك لتستبدل المقرنصات بأرجل مروحية أسفل طاقيه العقد الثلاثي للمرة الأولى بمصطبة دركاة الدخول بمدرسة ألجاي اليوسفي بشارع سوق السلاح ٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م، وظهر للمرة الأولى في تتويج المداخل بالمدخل الرئيسي لمجمع السلطان برسباي بالقرافة ٨٣٥هـ/ ١٤٣٢م. وبالتالي فإن هذا النموذج الموجود بجامع النقشبندي يعد تأثير مباشر من العمارة المملوكية القاهرية. نجيب، محمد مصطفى، تأثير الأرجل المروحية على العقود الثلاثية "المداينية" بمنشآت دولتي المماليك البحرية والجركسية ٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م، ضمن كتاب "دراسات في الأقبية والأحقاق المروحية بمصر والشرق الأدنى في العصر الوسيط"، درا كتابات، القاهرة، ٢٠١٣م، ٩٤.

[٧٩] مرسي، جامع التوريزي، ١٠٢.

[٨٠] مرسي، المدرسة الشاذبكية، ١٩١.

شهدت مدينة دمشق نمطا جديدا من المآذن لم يكن معهودا بها قبل الفترة العثمانية وهو المئذنة التركية التي تتميز ببدنها الرشيق المتعدد الأضلاع ينتهي بشرفة مستديرة ترتكز على مقرنصات حجرية، ثم بدن آخر بنفس الشكل إلا أنه أقل حجما، ويتوجه القمة المميزة للمئذنة التركية ذات الشكل المحدب يكسوها بلاطات من الرصاص. وهذا النمط المستحدث ظهر بمثال واحد فريد بمدينة دمشق وذلك بمئذنتي الجامع الملحق بالتكية السليمانية بساحة المرجة ٩٦٢هـ/١٥٥٤م[٨١] لوحة (٨ - أ)، وذلك المثال هو المثال الوحيد الذي يمثل النمط الخالص للمئذنة العثمانية سواء من حيث الشكل العام أو من حيث موقع المئذنتين على يمين ويسار بيت الصلاة وهو الموضع المفضل لدى المعماري العثماني. وفيما خلا ذلك سواء النماذج التي شيدت بالمدينة خلال الفترة العثمانية قبل ذلك المثال أو بعده جاءت إما مستهجنة أي على النمط العثماني ولكن بمسحة محلية واضحة[٨٢]، أو استمرارا للمآذن المحلية مع وجود التأثير العثماني على بعض نماذجها.

وفيما يتعلق بالمآذن المستهجنة التي بنيت وفقا للنمط العثماني بمسحة محلية فإنها تتكون من نفس تكوين المئذنة العثمانية المتعارف عليه من بدنين مضلعين يفصل بينهما شرفة بارزة ترتكز على مقرنصات ويتوجهما قمة مدببة مكسوة ببلاطات من الرصاص، وفي الوقت ذاته أضيف إلى هذا التكوين المسحة الدمشقية المحلية وهي عنصر المظلة التي تعارف على وجودها في الفترة السابقة على الفترة العثمانية[٨٣]، وتلتف هذه الشرفة حول البدن الثاني من المئذنة مما يقلل من زاوية رؤيته، فتبدو المئذنة وكأنها مكونة من بدن واحد تتوجه المظلة المذكورة. ومن أمثلة هذا النمط من المآذن المستهجنة بالعمائر الدينية ذات الطراز الهجين بمدينة دمشق مئذنة جامع الدرويشية بالشارع المستقيم ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م لوحة (٨ - ب)، مئذنة جامع الياغوشية بحارة الياغوشية بالشاغور الجواني ٩٩٥هـ/ ١٥٨٧م لوحة (٨ - ج)، ومئذنة جامع السنانية مقابل باب الجابية ٩٩٩هـ/ ١٥٩٠م[٨٤] لوحة (٨ - د).

أما عن المآذن التي تعد استمرارا للنمط المحلي للمئذنة، فقد تبنت الشكل المملوكي الذي تعتمد فيه المئذنة على البدن المثمن. ولم يكن للمئذنة المربعة[٨٥] التي كانت شائعة بالمنشآت الدينية بالمدينة حتى بداية العصر المملوكي

---

[٨١] يعد الجامع الملحق بالتكية السليمانية المثال الوحيد بمدينة دمشق الذي يحتوي على مئذنتين متناظرتين على جانبي الحرم الخاص بالجامع، وجاءت باقي منشآت المدينة سواء السابقة أو اللاحقة لذلك الجامع أحادية المآذن. ولتسينجر & واتسينجر، *الآثار الإسلامية في دمشق*، ٤١.

[٨٢] ولتسينجر & واتسينجر، الآثار الإسلامية في دمشق، ٤٢.

[٨٣] تعتبر المظلة التي تلتف حول شرفة المئذنة لحماية المؤذن من حرارة الشمس صيفا وأمطار الشتاء شتاء من الملامح المميزة التي ميزت المئذنة الشامية، وبعد الفتح العثماني للمدن الشامية استمر هذا العنصر مقترنا بالمئذنة ذات الشكل العثماني لتظهر بمسحة شامية محلية، ولم يقتصر هذا التقليد على مدينة دمشق من بين المدن الشامية وإنما ظهرت المئذنة العثمانية بنفس المسحة المحلية بمعظم المدن الشامية ومنها على سبيل المثال مدينة حلب مثل مئذنة جامع الحموي ٩٦٨هـ/١٥٦٦م، مئذنة تكية أبو بكر الوفائي ق١٠هـ/ ١٦م، مئذنة جامع الكمالية بمحلة العقبة ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م، ومئذنة جامع الأبراج ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م. Abd al-Razik, the local and foreign influences, 433.

[٨٤] ما يميز مئذنة جامع السنانية عن باقي مآذن المدينة أن بدنها مغشى جميعه من الخارج ببلاطات من القاشاني تركوازية اللون بنفس الطريقة المتعارف عليها في إيران وآسيا الوسطى. Boqvist, *Architecture et développement urbain à Damas*, 169.

[٨٥] المئذنة المربعة تعتبر أقدم أنماط المآذن التي ظهرت بمدينة دمشق، وتعتمد في تكوينها بشكل أساسي على بدن مربع ينتهي في أعلاه بشرفة وقد استخدم هذا النمط بمدينة دمشق منذ العصر الأموي ولكن للأسف لم يبق من نماذجها الأموية ولو مثال واحد ولكن من نماذجها الشامية المبكرة مئذنة الجامع العمري ببصرى ١٠٢هـ/ ٧٢٠م، وكذلك مئذنة الجامع الكبير بحلب ٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م. وظل هذا النمط سائدا بمدينة دمشق خلال العصور الزنكية والأيوبية كمئذنة جامع حسان ٥٥٧هـ/ ١١٦٢م، مئذنة المدرسة الأتابكية ٦٤٠هـ/ ١٢٤٣م، واستمر هذا النمط المربع حتى فترة متأخرة من العصر المملوكي كمئذنة جامع القلعي ٨٧٥هـ/ ١٤٧١م التي تعد آخر مئذنة مربعة تبنى في دمشق. عبد الحق، *مشاهد دمشق الأثرية*،٥٨؛ الشهابي، قتيبة، *مآذن*

تأثير يذكر خلال الفترة العثمانية. ومن نماذج المآذن التي تعد استمرارا للمئذنة المحلية المملوكية بمدينة دمشق بعمائر هذه المجموعة مئذنة جامع النقشبندي المعروف بالتكية المرادية بحي السويقة ٩٨١هـ/ ١٥٧٣م لوحة (٩ - أ)، فرغم أنها شيدت خلال الفترة العثمانية إلا أنها تعد صورة صادقة للمئذنة المملوكية بالمدينة سواء من حيث تكوينها الذي يعتمد بشكل أساسي على البدن المثمن المميز للمئذنة المملوكية والذي يرتفع أعلى قاعدة مربعة قصيرة، أو قمتها التي تأخذ شكل القلة، وكذلك زخارفها التي تتميز بالمسحة المحلية والتي تعتمد على الألوان المتناوبة بالحجر. وتتشابه مئذنة جامع النقشبندي مع الكثير من المآذن المملوكية بدمشق ومن ذلك مئذنة جامع السنجقدار ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م[٨٦] لوحة (٩ - ب)، مئذنة جامع بردبك ٨٦١هـ/ ١٤٥٧م، مئذنة المدرسة الصابونية ٨٦٨هـ/ ١٤٦٤م، ومئذنة المدرسة السيبائية المعروفة بجامع الخراطين ٩٢١هـ/ ١٥١٥م[٨٧].

وهناك بعض النماذج الأخرى التي ظهرت بعمائر هذه المجموعة كانت استمرار للنمط المحلي ولكن بتأثير عثماني حيث تتكون هذه النماذج من البدن المثمن المميز للمئذنة المملوكية المحلية، وفي الوقت نفسه تأتي قمتها محدبة الشكل على النمط العثماني، ومن ذلك مئذنة جامع البكري المعروف بجامع برويز باشا ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٨م لوحة (١٠ - أ)، مئذنة المدرسة الاسماعيلية بالشاغور الجواني ١١٣١هـ/١٧١٩م، ومئذنة المدرسة الفتحية المعروفة بجامع القيمرية بمحلة القيمرية ١١٥٦هـ/ ١٧٤٢م لوحة (١٠ - ب).

ويضاف إلى ما تقدم نمط آخر من المآذن ظهر بعمائر الطراز الهجين بتأثير من الأساليب المحلية وهو المآذن الرمزية، وهو نوع من المآذن يتميز بأنه قصير القامة وكأنها فقط مجرد شارة لموضع الآذان ولكنها لا تضيف شيئ لصوت المؤذن، وغالبا ما تنتشر هذه المآذن بالمساجد الصغيرة ومساجد الحارات وكذلك المساجد التي توجد وسط الأسواق فتكون ملائمة لفكرة الأسواق المغطاة التي شاع استخدامها في دمشق[٨٨]، ومن أمثلتها بعمائر هذه المجموعة مئذنة الزاوية الصمادية بالشاغور الجواني ٩٣٢هـ/ ١٥٢٦م، ومئذنة مدرسة سليمان باشا العظم بباب البريد ١١٥٠هـ/ ١٧٣٨م[٨٩].

ولم يقتصر التأثير المحلي على مآذن هذه المجموعة من العمائر على نمط مآذنها فقط كما تقدم، وإنما امتد هذا التأثير كذلك إلى موضع المئذنة من المنشأة، فالموضع المفضل لدى المعماري العثماني هو وضع المئذنة بجانب بيت الصلاة أو بنهاية احدى طرفي الرواق المستعرض الذي يتقدم بيت الصلاة الذي تتميز به عمائر هذه المجموعة وهو ما نراه واضحا بالعمائر العثمانية بتركيا، وتم تطبيق هذه القاعدة كذلك بمئذنتي الجامع الملحق بالتكية السليمانية ٩٦٢هـ/ ١٥٥٤م لوحة (٨ - أ). أما عن الموضع المفضل لدى المعمار المحلي الدمشقي هو وضع المئذنة على الواجهة الرئيسية أعلى كتلة المدخل مباشرة أو على احدى جانبيه وهو ما نراه في معظم منشآته السابقة على الفترة العثمانية، وقد امتد هذا التأثير لعمائر هذه المجموعة ذات الطراز الهجين فبدلا من وضع المئذنة على أحد طرفي الرواق المستعرض الذي تتضمنه هذه المنشآت نجد المئذنة ترتفع أعلى الواجهة الرئيسية وبنفس الموضع المفضل لدى المعمار المحلي أعلى أو جوار المدخل، ومن ذلك مئذنة الزاوية الصمادية بالشاغور الجواني ٩٣٢هـ/ ١٥٢٦م

دمشق تاريخ وطراز، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٩٣م، ٤٧؛ ولتسينجر & واتسينجر، *الآثار الإسلامية في دمشق*، ٢٩؛ عبد الرازق، الطرز المعمارية للمآذن الباقية بمدينة حلب، ٣٠٣.

[٨٦] هذه المئذنة لا تعود لعصر الإنشاء وإنما تم تجديدها ولكن وفقا للنمط المملوكي.

[٨٧] تعد هذه المئذنة آخر المآذن التي شيدت بمدينة دمشق خلال العصر المملوكي.

[٨٨] الشهابي، *مآذن دمشق*، ٤٥٧.

[٨٩] منصور، محمد عبد القادر، المدارس العثمانية الباقية بمدينة دمشق دراسة أثرية معمارية ، رسالة ماجستير، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠١٠م، شكل ٧.

التي ترتفع أعلى واجهتها الرئيسية وعلى يمين كتلة المدخل، مئذنة جامع النقشبندي بحي السويقة ٩٨١هـ/ ١٥٧٣م التي ترتفع على يسار كتلة المدخل، مئذنة جامع الدرويشية بالشارع المستقيم ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م التي ابتعد بها تماما عن بيت الصلاة وكذلك الرواق المستعرض لترتفع على يسار المدخل بالزواية الشمالية الشرقية، مئذنة جامع السنانية مقابل باب الجابية ٩٩٩هـ/ ١٥٩٠م ترتفع أعلى كتلة المدخل بميل نحو الجهة اليسرى، ومن ذلك أيضا مئذنة المدرسة الفتحية بمحلة القيمرية ١١٥٦هـ/ ١٧٤٢م التي ترتفع مقابل بيت الصلاة ورواقه المستعرض أعلى الواجهة الشمالية وعلى يسار مدخلها الشمالي على غير المعتاد بالطراز العثماني.

٢ .٢ .٤. الأسقف:

من المعروف أن أهم العناصر المعمارية التي تم الاعتماد عليها في التسقيف في المنشآت العثمانية هي القباب وأنصافها، وتستخدم القباب في عمائر هذا الطراز بحجم كبير في تسقيف المساحات الرئيسية كبيت الصلاة في المساجد والمدراس[٩٠]، في حين تستخدم القباب الصغيرة في تسقيف الملاحق والقباب الضحلة في تسقيف الأروقة، ومما يميز هذه القباب في الطراز العثماني تكسيتها ببلاطات الرصاص من الخارج[٩١]، وفيما خلا ذلك تكاد تنعدم باقي أنواع الأسقف مثل الأقبية والأسقف المسطحة. ويمكن القول بأن هذا ما تم تطبيقه فعليا بالتكية السليمانية بساحة المرجة ٩٦٢هـ/ ١٥٥٤م، حيث اعتمدت على القباب بشكل أساسي دون غيرها من أنواع الأسقف حتى وصل عدد القباب بالتكية وملاحقها ثمانية وثمانون قبة وجميعها مكسوة ببلاطات الرصاص وفقا للنمط العثماني[٩٢] شكل (٨).

وإذا ما انتقلنا لهذه المجموعة من العمائر ذات الطراز الهجين تبين لنا أن ظاهرة تقنين الطراز العثماني وإحلال الأساليب المحلية قد شملت عناصر التسقيف في العديد من الأوجه، حيث بدأت تختفي بلاطات الرصاص التي تكسو القباب من الداخل في الكثير من النماذج ويحل محلها كسوة من الميلاط أو الجص كما كان سائدا من قبل في النمط المحلي باستثناء قبة بيت الصلاة بجامع السنانية ٩٩٩هـ/ ١٥٩٠م. ومن أمثلة قباب النمط المحلي قبة الزاوية الصمادية بالشاغور الجواني ٩٣٢هـ/ ١٥٢٦م لوحة (١١ - أ)، والقبة التي تغطي بيت الصلاة بجامع النقشبندي أو التكية المرادية بحي السويقة ٩٨١هـ/ ١٥٧٣م، وقبة بيت الصلاة بجامع الياغوشية بالشاغور الجواني ٩٩٥هـ/ ١٥٨٧م لوحة (١١ - ب). ومن مظاهر إحلال الأساليب المحلية محل العثمانية الوافدة في مجال التسقيف بمنشآت هذا الطراز استبدال القباب بأنواع أخرى من الأسقف، فحرم المدرسة الأحمدية بسوق الحميدية ٩٤٤هـ/ ١٥٣٨م تم تسقيفه بسقف خشبي مسطح بدلا من القبة[٩٣]، وقد تم استبداله حاليا بسقف خرساني حديث بعد سقوط القديم.

وخير الأمثلة على ما حدث من تقنين للأسقف العثمانية وإحلالها بالمحلية نظام الأسقف بجامع النقشبندي المعروف بالتكية المرادية بحي السويقة ٩٨١هـ/ ١٥٧٣م، حيث تم استبدال القباب بالأقبية المتقاطعة في تسقيف الحجرتين الواقعتان على جانبي الباب الرئيسي للجامع، كما استخدمت الأقبية المتقاطعة كذلك في تسقيف حجرات الإقامة الواقعة بالضلع الشمالي من الصحن، أما الحجرات الواقعة على جانبي الصحن بالضلعين الشرقي والغربي فتم تسقيفها بأسقف مسطحة، ومن ذلك أيضا قاعة المطبخ التي تم إلحاقها بالجانب الشرقي من الجامع حيث سقفت بقبو مروحي بدلا من القبة شكل (١٦) كما هو معتاد في النمط العثماني وكما رأينا بمطبخ التكية السليمانية ٩٦٢هـ/١٥٥٤م. وفي مدرسة اسماعيل باشا العظم ١١٣١هـ/ ١٧١٩م استخدمت الأقبية المتقاطعة إلى جانب القبة في تسقيف بيت الصلاة، علاوة على إحلال الأقبية المتقاطعة محل القباب في حجرات الإقامة حول الصحن، كما استخدم

[٩٠] ولتسينجر & واتسينجر، *الآثار الإسلامية في دمشق*، ٤١.

[91] Kafescioğlu, Çiğdem, "In the image of Rūm", 70.

[٩٢] ولتسينجر & واتسينجر، *الآثار الإسلامية في دمشق*، ٢٢٢.

[٩٣] ابن عبد الهادي، *ثمار المقاصد*، ١٩١.

السقف الخشبي المسطح في تسقيف الرواق المستعرض الذي يتقدم بيت الصلاة شكل (١٣ - أ)، وهو أمر غير معتاد تماما في النمط العثماني. ويتفق ذلك أيضا مع مدرسة سليمان باشا العظم ١١٥٠هـ/ ١٧٣٨م حيث استخدم السقف الخشبي المسطح بدلا من القباب في بعض الأروقة حول الصحن وكذلك في تسقيف المصلى الملحق بالمدرسة على غير المعتاد لوحة (١١ - ج). ومن ذلك أيضا المدرسة الفتحية بمحلة القيمرية ١١٥٦هـ/١٧٤٢م، حيث حلت الأقبية المتقاطعة والأسقف المسطحة محل القباب بحجرات الإقامة والأروقة باستثناء الرواق المستعرض الذي يتقدم المصلى لوحة (١١ - د)، كما سقفت حجرة الكتاب الملحقة بالجانب الشرقي من المصلى بسقف خشبي مسطح شكل (١٣ - ج). وفي مدرسة عبد الله باشا العظم بالشاغور الجواني ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م استخدم القبو المتقاطع في تسقيف الجزء الشمالي من المصلى إلى جانب القبة التي استخدمت في تسقيف الجزء الجنوبي[٩٤] شكل (١٣ - د). ويتضح من جميع الأمثلة السابقة نجاح الأساليب المحلية في تقنين الطراز العثماني بشكل ملحوظ في مجال الأسقف بعمائر هذه المجموعة رغم انتماء مخططها العام للطراز العثماني الوافد.

٢ .٢ .٥. المحاريب:

استحدث نمط جديد من المحاريب بمدينة دمشق بالعمائر الدينية التي شيدت خلال العصر العثماني يتميز بطاقيته المشغولة بالمقرنصات[٩٥] المرتبة على شكل مخروط أو مثلث قمته لأعلى[٩٦]، وقد ورث العثمانيين أنفسهم هذا النمط من محاريب العمائر السلجوقية. وقد ظهر هذا النمط من المحاريب على نطاق ضيق جدا بالعمائر العثمانية بالمدينة حيث تم تحجيم انتشاره وإحلال النمط المحلي محله، ومن النماذج القليلة للمحراب ذو النمط العثماني بعمائر دمشق، المحراب الرئيسي لجامع التكية السليمانية بساحة المرجة ٩٦٢هـ/ ١٥٥٤م[٩٧] شكل (١٨)، وكذلك المحاريب الزخرفية التي تكتنف مدخل بيت الصلاة ومحرابي الرواق المستعرض بنفس الجامع. وفيما يتعلق بالعمائر ذات الطراز الهجين فقد ظهر فيها هذا النمط من المحاريب على نطاق ضيق جدا كما هو الحال في المحراب الرئيسي بجامع النقشبندي بحي السويقة ٩٨١هـ/ ١٥٧٣م، ورغم أن طاقية هذا المحراب مشغولة بالمقرنصات إلا أن ترتيبها محور عن النمط العثماني الصريح الذي ظهر في التكية السليمانية وكأنه يمثل مرحلة انتقالية بين هذا النمط العثماني والمحراب المحلي[٩٨] لوحة (١٢ - أ)، وينطبق ذلك أيضا على محرابي الرواق المستعرض بنفس الجامع. ومن ذلك أيضا المحراب الرئيسي للمدرسة الفتحية بمحلة القيمرية ١١٥٦هـ/ ١٧٤٢م الذي يتميز بطاقيته المقرنصه، إلا أن عقده جاء متجاوز لنصف الدائرة مما جعله أقرب إلى النمط المحلي منه للعثماني[٩٩].

---

[٩٤] منصور، المدارس العثمانية الباقية بمدينة دمشق، ٤٥٥.

[٩٥] ظهرت بعض الأمثلة النادرة من المحاريب التي زينت طواقيها بصفوف من المقرنصات بمدينة دمشق قبل الفترة العثمانية كما هو الحال في محراب جامع الحنابلة ٥٩٨هـ/ ١٢٠٢م، محراب المدرسة العادلية الكبرى ٦١٩هـ/ ١٢٢٢م، وكذلك محراب جامع التوريزي ٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م، ورغم احتوائها على المقرنصات في طواقيها إلا أنها تختلف تماما عن النمط العثماني. مرسي، جامع التوريزي، ٩٤.

[٩٦] ولتسينجر & واتسينجر، *الآثار الإسلامية في دمشق*، ١٩.

[٩٧] منصور، الخوانق والتكايا الباقية بدمشق، لوحة ٩٧٠.

[٩٨] يتكون النمط المحلي للمحاريب التي شاع انتشارها بمدينة دمشق قبل الفترة العثمانية من حنية ذات طاقية مدببة الشكل وقد يكتنفها عمودين على جانبيها في بعض الحالات، أما زخارفها فتكون إما منفذة بالألوان الحجرية أو بالوزرات الرخامية الملونة، والطاقية قد تكون خالية من الزخارف أو تحتوي على زخارف منفذة بالحجر أو الرخام قوامها زخارف زجزاجية أو إشعاعية في أغلب الأمثلة.

[٩٩] منصور، المدارس العثمانية بدمشق، ١٣٢.

وفيما خلا ذلك من الأمثلة كانت الغلبة للمحراب ذو النمط المحلي حتى في العمائر التي شيدت وفقا للطراز العثماني الهجين، وبالتالي نستطيع القول بأن المحراب العثماني انحصر ظهوره في التكية السليمانية التي تمثل الطراز العثماني الخالص، وفي عمائر الطراز العثماني الهجين في مثالين فقط هما جامع النقشبندي والمدرسة الفتحية، وباقي عمائر هذا الطراز استحوذ عليها المحراب المحلي كما في محراب الزاوية الصمادية بالشاغور الجواني ٩٣٢هـ/ ١٥٢٦م، محراب المدرسة الأحمدية بسوق الحميدية ٩٤٤هـ/ ١٥٣٨م، ومحراب جامع الدرويشية ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م لوحة (١٢ - ب)، وكذلك محراب الرواق المستعرض[١٠٠] الواقع على يسار الداخل لبيت الصلاة بنفس الجامع، محراب جامع الياغوشية ٩٩٥هـ/ ١٥٨٧م، محراب بيت الصلاة بجامع السنانية ٩٩٩هـ/ ١٥٩٠م لوحة (١٢ - ج)، وكذلك محراب الرواق المستعرض على يسار الداخل من مدخل بيت الصلاة بنفس الجامع، محراب جامع البكري بمحلة القيمرية ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٨م، محراب بيت الصلاة بالمدرسة الاسماعيلية بالشاغور الجواني ١١٣١هـ/ ١٧١٩م، محراب الرواق المستعرض بنفس المدرسة، محراب المصلى المحلق بمدرسة سليمان باشا العظم بباب البريد ١١٥٠هـ/ ١٧٣٨م، ومحراب المصلى الملحق بمدرسة عبد الله باشا بالشاغور الجواني ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م.

ونلاحظ أن التأثير المحلي لهذه النماذج من المحاريب لم يقتصر على الشكل العام لها فقط، وإنما امتد أيضا إلى الزخارف التي تزينها، فتظهر عليها نفس الزخارف المستخدمة في زخرفة محاريب العمائر في الفترات السابقة على الفترة العثمانية كاستخدام التناوب اللوني للأحجار في زخرفة باطن الحنية وكذلك صنجات العقد الخاص بطاقية المحراب كما في محراب الزاوية الصمادية بالشاغور الجواني ٩٣٢هـ/ ١٥٢٦م، واستخدام الوزرات الرخامية الملونة وكذلك الزخارف الزجزاجية في الطاقية كما في محراب جامع الدرويشية ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م، ومحراب جامع السنانية ٩٩٩هـ/ ١٥٩٠م. ويمكن الوقوف على حجم التأثير المحلي على هذه النماذج من المحاريب بمقارنتها بما يناظرها بعمائر الفترات السابقة على الفترة العثمانية ومن ذلك على سبيل المثال محراب المدرسة الجقمقية ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م لوحة (١٢ - د)، محراب جامع الورد ٨٣٠هـ/ ١٤٢٧م، محراب المدرسة الشاذبكية ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م، ومحراب جامع الأمير بردبك المعروف بالجامع المعلق ٨٦١هـ/ ١٤٥٧م.

٢ .٢ .٦. العقود:

تميزت العمائر الدينية التي شيدت بمدينة دمشق خلال العصر العثماني باستحداث بعض الأنواع من العقود لم تكن موجودة قبل تلك الفترة، ومن ذلك نوع متطور من العقد المدبب يتميز بأن طرفيه العلوين بهما تقعير خفيف للخارج[١٠١]، ويعرف هذا العقد هندسيا باسم العقد المدبب ذو الأربعة مراكز، وهومختلف في شكله وأسلوب تنفيذه عن العقد المدبب التقليدي الذي شاع في العصور السابقة على الفترة العثمانية[١٠٢]. وكان ظهور هذا النوع من العقود محدودا إذا ما قورن بالعقد المدبب التقليدي، ومن أمثلته عقود التكية السليمانية بساحة المرجة ٩٦٢هـ/ ١٥٥٤م التي تحققت فيها مميزات الطراز العثماني، حيث يمكن رؤيته بكافة وحداتها كعقود الرواق المستعرض الذي يتقدم المسجد، وكذلك عقود الأروقة التي تشرف على داخل صحن التكية، والعقود التي تحمل القبة التي تتقدم البوابة الشمالية[١٠٣] شكل (١٩). أما عن العمائر ذات الطراز العثماني الهجين فقد ظهر هذا العقد على نطاق ضيق وذلك في كل من جامع

[١٠٠] جاء هذا المحراب موافقا للنمط المحلي من حيث تكوينه من حنية بسيطة متوجة بطاقية مدببة، إلا أن زخارفه موافقة للنمط العثماني حيث تم كسوته بالكامل ببلاطات من القاشاني المتعدد الألوان، ولكن في الوقت ذاته ثبت أن هذه البلاطات مصنوعة محليا وليست مستوردة من تركيا، ولابد من الاشارة كذلك أن مدينة دمشق عرفت التكسيات الخزفية قبل مجيئ العثمانيين كما في جامع وتربة غرس الدين التوريزي ٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م. ولتسينجر & واتسينجر، *الآثار الإسلامية في دمشق*، ٣٨.

[١٠١] الريحاوي، *الآثار العربية الإسلامية*، ٢٦١.

[١٠٢] عثمان، نجوى، *الهندسة الإنشائية في مساجد حلب*، منشورات معهد التراث العلمي، حلب، ١٩٩٢م، ٢٨٣.

[١٠٣] منصور، الخوانق والتكايا الباقية بدمشق، شكل ٢٤٤.

الدرويشية ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م لوحة (١٣- أ)، جامع الياغوشية ٩٩٥هـ/١٥٨٧م، وجامع السنانية ٩٩٩هـ/١٥٩٠م لوحة (١٣- ب). ومن أنواع العقود التي استحدثت في هذه الفترة كذلك العقد الموتور الذي شاع بكثرة في تتويج المداخل والنوافذ بحيث قل أن نجد منشأة شيدت خلال تلك الفترة إلا وكان العقد الموتور متوجا لمداخلها ونوافذها.

وفيما خلا ذلك شاعت العقود المحلية لا سيما العقد المدبب التقليدي بتأثير من الأساليب المحلية حيث نجده ممثلا في غالبية نماذج هذه المجموعة من العمائر ذات الطراز العثماني الهجين، كما في الزاوية الصمادية بالشاغور الجواني ٩٣٢هـ/ ١٥٢٦م، جامع النقشبندي أو التكية المرادية ٩٨١هـ/ ١٥٧٣م، مدرسة سليمان باشا العظم ١١٥٠هـ/ ١٧٣٨م، المدرسة الفتحية ١١٥٦هـ/ ١٧٤٢م، ومدرسة عبد الله باشا العظم ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م لوحة (١٣- ج). وقد كان العقد المدبب التقليدي أكثر أنواع العقود استخداما في العمائر السابقة على الفترة العثمانية ومن ذلك على سبيل المثال جامع الحنابلة ٥٩٨هـ/ ١٢٠٢م، المدرسة المارداني ٦١٠هـ/ ١٢١٤م، المدرسة المرشدية ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م، وجامع الأقصاب ٨١١هـ/ ١٤٠٩م لوحة (١٣- د).

وإلى جانب العقد المدبب التقليدي استمر استخدام العقد النصف دائري كما في جامع ومدرسة الأحمدية بسوق الحميدية ٩٤٤هـ/ ١٥٣٨م لوحة (١٤- أ)، والمدرسة الاسماعيلية المعروفة بجامع الخياطين بالشاغور الجواني ١١٣١هـ/ ١٧١٩م. وقد سبق ظهور العقد النصف دائري في العمائر السابقة على الفترة العثمانية، كما في المدرسة الظاهرية ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م لوحة (١٤- ب)، وجامع السنجقدار ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م. واستمر كذلك العقد الثلاثي الذي استخدم قبل ذلك في تتويج المداخل كما في العقد المتوج لمدخل مدرسة سليمان باشا العظم بباب البريد ١١٥٠هـ/ ١٧٣٨م. وقد ظهر ذلك العقد قبل الفترة العثمانية في جامع التوريزي بحي السويقة ٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م[١٠٤] لوحة (٧- ج)، ودخلة السبيل الملحق بالمدرسة الشاذبكية بحي القنوات ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م[١٠٥] لوحة (٧- د). ويتضح كذلك الأثر المحلي في مجال العقود بهذه المجموعة من العمائر في استخدام العقود ذات الصنجات المتداخل كما في العقد المتوج لمدخل المدرسة الاسماعيلية ١١٣١هـ/ ١٧١٩م لوحة (١٤- ج). وقد استخدم هذا النوع من العقود في العديد من النماذج في الفترة السابقة على العصر العثماني ومن ذلك على سبيل المثال العقد المتوج لمحراب المدرسة الظاهرية ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م، والعقد المتوج لمدخل جامع صهيب الرومي أو تربة آراق السلحدار ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م، والعقد المتوج لمدخل المدرسة الجقمقية ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م وكذلك العقد المتوج لمحرابها[١٠٦] لوحة (١٤- د). وهكذا نجد أن أنواع العقود المحلية التي شاع استخدامها بعمائر دمشق قبل الفترة العثمانية كان لها الغلبة في الذيوع والانتشار في العمائر العثمانية ونجحت في تقنين انتشار ما استحدث منها تزامنا مع الطراز العثماني الوافد.

٢ .٢ .٧. الزخارف:

بعض أنواع الزخارف التي استخدمت لتزيين عمائر هذه المجموعة كانت مستحدثة مع الطراز العثماني الوافد، ويأتي على رأسها استخدام البلاطات الخزفية في زخرفة بعض الأجزاء من الواجهات كالحشوات الموجودة أعلى النوافذ والمداخل وتكسية المحاريب وبعض الأجزاء من الجدران الداخلية كما هو الحال في جامع الدرويشية ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م، والسنانية ٩٩٩هـ/ ١٥٩٠م، وزاوية سعد الدين ق١٢هـ/١٨م[١٠٧]. وعلى الرغم من أن هذه التقنية

[١٠٤] مرسي، جامع التوريزي، ١٠٢.
[١٠٥] مرسي، المدرسة الشاذبكية، ١٩١.
[106] Abd al-Razik, the local and foreign influences, 440.
[١٠٧] ولتسينجر، واتسينجر، *الآثار الإسلامية في دمشق*، ٣٩.

وجدت قبل ذلك بمدينة دمشق منذ العصر المملوكي بجامع التوريزي ٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م إلا أنها لم يكتب لها الانتشار بعد ذلك إلا مع مجيئ العثمانيين، وبالتالي فهي تعد من مستجدات الطراز العثماني الوافد.

وغالبية الزخارف التي تم الاعتماد عليها في زخرفة داخل وخارج الواجهات بعمائر هذه المجموعة ذات الطراز العثماني الهجين كانت من تأثير الأساليب المحلية التي نحجت فعليا في تقنين العناصر الزخرفية المستحدثة مع الطراز الوافد كالبلاطات الخزفية التي فقدت قيمتها نتيجة استخدام الأساليب المحلية إلى جانبها في الزخرفة، ومن ذلك استخدام المداميك الحجرية الملونة في تغطية كافة أجزاء الواجهات الخارجية وأحيانا الداخلية، وقد سبق الحديث عن ذلك تفصيلا أثناء الحديث عن تقنين الأساليب المحلية للوافدة في مجال الواجهات. ومن ملامح التأثير المحلي في هذا الجانب أيضا استخدام الدخلات الرأسية ذات الصدور المقرنصة في زخرفة الواجهات الخارجية، وهي تقنية شاع استخدامها في زخرفة واجهات العمائر في الفترات السابقة على الفترة العثمانية[١٠٨] واستمرت بعد ذلك نتيجة التأثير المحلي على عمائر هذه المجموعة. ومن ذلك واجهات جامع النقشبندي المعروف بالتكية المرادية بحي السويقة ٩٨١هـ/ ١٥٧٣م التي استخدمت بها الدخلات الرأسية المقرنصة وبنفس التكوين المألوف في العمائر السابقة على الفترة العثمانية حيث يشغل قسمها السفلي شبابيك ذات مصبعات والتي تعد هي الأخرى استمرارا لنظيراتها المحلية، وأعلاها ينتهي بصدور حجرية مقرنصة لوحة (١٥- أ)، ويمكن مقارنة ذلك بالدخلات الرأسية ذات الصدور المقرنصة التي تزين واجهة جامع الأفرم ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م لوحة (١٥- ب)، والدخلات الرأسية بواجهة جامع التوريزي إلا أنها معقودة وليست بصدور مقرنصة.

ومن العناصر الزخرفية التي استمرت بعمائر هذه المجموعة نتيجة التأثر بالعمائر السابقة على الفترة العثمانية الزخارف الحجرية القالبية أو البارزة، وهذه الزخارف كانت قليلة الانتشار بعمائر المدينة حتى نهاية ق٧هـ/١٤م، إلا أنها بداية من ق٨هـ/١٤م ذاع انتشارها[١٠٩] وظلت مستمرة بعد ذلك بعمائر الفترة العثمانية. ومن أمثلة هذه الزخارف تلك المنفذة على الواجهة الرئيسية لجامع النقشبندي بحي السويقة ٩٨١هـ/ ١٥٧٣م حيث يشغلها مجموعة من الأشرطة والأطر الزخرفية المنفذة بالحفر البارز على النسق المحلي، ومن ذلك أيضا الواجهة الرئيسية لجامع الدرويشية ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م التي يزينها مجموعة من الأشرطة قوامها زخارف منفذة بالحفر البارز والغائر على الحجر تتضمن إطارات هندسية تحصر بداخلها وريدات متعددة البتلات على نحو ما كان مألوفا من قبل في العمائر السابقة على تلك الفترة لوحة (١٥- ج). وفي كثير من الأحيان تظهر على الواجهات زخرفة حجرية عبارة عن جامة مستديرة يشغلها من الداخل وريدة متعددة البتلات تنفذ بالتناوب اللوني بالحجر[١١٠] كما في واجهة جامع النقشبندي ٩٨١هـ/ ١٥٧٣م، وواجهة جامع الدرويشية ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م، ويتضح التأثير المحلي على هذه الزخرفة إذا ما قمنا بمقارنتها بنفس العنصر على واجهة التربة والمدرسة الخاتونية ٥٨١هـ/ ١١٨٥م [١١١]، والعنصر نفسه على واجهة المدرسة الجقمقية ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م[١١٢]، وواجهة جامع بردبك ٨٦١هـ/ ١٤٥٧م لوحة (١٥- د). ويضاف إلى ما تقدم التقنية التي تنتهي بها واجهات المباني بهذه المجموعة والتي تتشابه إلى حد كبير مع واجهات المنشآت الأيوبية والمملوكية من حيث انتهاء الواجهة من أعلى بطنف أو كورنيش حجري مقلوب كما في جامع النقشبندي ٩٨١هـ/ ١٥٧٣م، وجامع السنانية ٩٩٩هـ/ ١٥٩٠م، وأحيانا يتوج هذا الكورنيش نفسه بصف من الشرافات كما في جامع الدرويشية ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م، ويمكن مقارنة ذلك بواجهة المدرسة الأفريدونية ق٨هـ/ ١٤م والتي تنتهي بكورنيش

[١٠٨] الريحاوي، *العمارة العربية الإسلامية*، ١٨٣.
[١٠٩] ولتسينجر، واتسينجر، *الآثار الإسلامية في دمشق*، ٣٤، ٣٥.
[١١٠] الشهابي، قتيبة، *زخارف العمارة الإسلامية في دمشق*، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٩٦م، ١٠٧.
[١١١] ولتسينجر & واتسينجر، *الآثار الإسلامية في دمشق*، ٢٤٥.
[١١٢] الريحاوي، *العمارة العربية الإسلامية*، ٢٤٢.

بارز مجرد لا يعلوه شرافات، ويتوج هذا الكورنيش صف من الشرفات في كل من الجقمقية ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م، والصابونية ٨٦٨هـ/١٤٦٤م[١١٣].

ومما يمكن الإشارة إليه في هذا الصدد؛ النقوش الكتابية سواء كانت مستخدمة لغرض زخرفي أو تسجيلي. فبدلا من استخدام اللغة التركية في تسجيل هذه النقوش كما هو معتاد في العمائر العثمانية، وجدنا أن اللغة العربية ظلت سائدة كما كان الحال في العصور السابقة على العصر العثماني وذلك بتأثير محلي. وما استجد في مجال النقوش هو استخدام بعض أنواع من الخطوط لم تكن مستخدمة من قبل كالخط الفارسي[١١٤] والذي يمكن رؤيته بالتكية السليمانية ٩٦٢هـ/ ١٥٥٤م، وجامع الدرويشية ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م، وكذلك ظهور الطغراوات العثمانية كما في الطغراء المسجلة على واجهة السبيل الملحق بجامع السنانية ٩٩٩هـ/ ١٥٩٠م. ولكن على أية حال فإن اللغة العربية كان لها الغلبة في جميع عمائر هذه المجموعة وبلا استثناء ومن ذلك النقش الكتابي المسجل أعلى مدخل بيت الصلاة بجامع النقشبندي ٩٨١هـ/١٥٧٣م، النقش التأسيسي للمدرسة الاسماعيلية ١١٣١هـ/ ١٧١٩م، النقش التأسيسي لمدرسة سليمان باشا العظم ١١٥٠هـ/ ١٧٣٨م، والنقش المسجل أعلى مدخل المدرسة الفتحية وكذلك النقش المسجل أعلى محرابها ١١٥٦هـ/١٧٤٢م.

ومن خلال العرض السابق للمخططات المعمارية والعناصر المعمارية والزخرفية لهذه المجموعة من العمائر التي جمعت بين الطراز العثماني والمسحة المحلية الدمشقية، يتضح بجلاء نجاح الأساليب المحلية في تقنين الطراز الوافد والشيوع والانتشار على حساب هذا الطراز الجديد حتى بدت هذه المجموعة من العمائر وكأنها محلية واستمرارا لطرز العمائر السابقة، لما أحاط بكل تفاصيلها من ملامح محلية رغم أن مخططاتها العامة تتفق مع الطراز العثماني الوافد.

٢ . ٣. المجموعة الثالثة: عمائر الطراز المحلي:

يمثل هذه المجموعة عدد من العمائر الدينية التي شيدت وفقا للأساليب المحلية سواء من حيث مخططاتها العامة أو تفاصيلها المعمارية مع بعض الاستثناءات القليلة التي لا ترقى إلى التأثير على كونها انعكاسا صادقا وصريحا للطراز المحلي. وإذا ما قمنا بإحصاء أعداد العمائر التي تنتمي لهذه المجموعة وجدنا أنها الأكثر عددا إذا ما قورنت بأعداد العمائر التي تنتمي للمجموعة الأولى ذات الطراز الوافد أو المجموعة الثانية ذات الطراز الهجين جدول (١)، وهو ما يعطى انطباع بهيمنة الأساليب المحلية ونجاحها في تقنين الطراز العثماني على مستوى التخطيط العام والتفاصيل المعمارية والزخرفية.

وعلاوة على ما تقدم فإنه إذا ما قمنا بتتبع طرز العمائر الدينية التي شيدت بمدينة دمشق خلال العصر العثماني وجدنا تمثيلا وحيدا للطراز العثماني الخالص بعمارة مجمع السليمانية، ثم تأتي مجموعة من العمائر جمعت بين الطرازين الوافد والمحلي، وبين هذا وذاك كان هناك تواجد للطراز المحلي الخالص حتى أن أول نماذج العمائر الدينية التي شيدت بالمدينة بعد مجيئ العثمانين كانت مشيدة وفقا للطراز المحلي الخالص كما سنرى لاحقا، وهو ما

[١١٣] الريحاوي، *العمارة العربية الإسلامية*، ١٨٥.
[١١٤] الشهابي، *زخارف العمارة الإسلامية في دمشق*، ١٢٢.

يدلل على تواجد الطراز المحلي حتى في مرحلة تبني الذوق الفني للأسلوب العثماني[١١٥]. وبعد ذلك أخذت دائرة العمائر المشيدة وفقا للطراز المحلي تتوسع على حساب الطراز العثماني وتحقق لها الاستحواذ الكامل مع نهاية ق ١٢هـ/ ١٨م، فمنذ ذلك التاريخ انعدمت مخططات الطراز الوافد حيث كانت مدرسة عبد الله باشا العظم بالشاغور الجواني ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م آخر العمائر التي شهدت تأثيرا قويا للطراز العثماني على عمارتها، حيث جاء مخططها وافدا وتفاصيلها محلية. وبعد هذا التاريخ أصبحت جميع العمائر المشيدة استمرارا لما كان قبل الفترة العثمانية باستثناء القليل من التأثيرات الوافدة كما سبق القول.

ولكي نقوم بالوقوف على حجم الاستحواذ المحلي على عمائر هذه المجموعة سواء العمائر التي تخللت فترة تبني الذوق الفني للأسلوب الوافد أو تلك التي استقرت عليها دمشق مع نهاية الفترة العثمانية، فيجب تتبع مخططاتها وتفاصيلها المعمارية ومقارنتها مع ما يناظرها قبل الفترة العثمانية على النحو التالي:

٢ . ٣ . ١. التخطيط المعماري:

شيدت عمائر هذه المجموعة من العمائر وفقا للمخططات التي كانت سائدة بالمدينة قبل مجيئ العثمانيين، وبالتالي فهي تعد استمرار لما سبق، ولم تتعرض لتيارات التأثيرات الوافدة خلال الفترة العثمانية. ومن هذه المخططات ذلك المخطط الذي يعتمد على الصحن والأروقة بحيث يتكون من صحن يشغل ضلعه الجنوبي بشكل أساسي بيت الصلاة أو ما يعرف محليا باسم القبلية، والضلع المقابل وكذلك الأضلاع الجانبية قد يشغلها أروقة أو إيوانات أو الملاحق.

ومن أمثلة المساجد التي شيدت وفقا لهذا المخطط بمدينة دمشق خلال الفترة العثمانية؛ جامع محي الدين بن عربي بحي الصالحية ٩٢٤هـ/١٥١٨م[١١٦] شكل (٢٠). ويعد هذا الجامع أول المنشآت الدينية التي شيدت بالمدينة

[١١٥] أنشئت بعض النماذج من العمائر الدينية بمدينة دمشق في الفترة العثمانية المبكرة بحيث كانت استمرارا للأساليب المحلية القديمة ولم يطبق عليها الطرازالعثماني الوافد رغم خضوع المدينة للسلطة العثمانية وقت إنشائها، وما يزيد الأمر غرابة أن بعض هذه المنشآت كانت بأمر سلطاني كالتكية السليمية وجامع محي الدين بن عربي بالصالحية الذي أمر بإنشائهما السلطان سليم الأول سنة ٩٢٤هـ/ ١٥١٨م، ويمكن تبرير ذلك بأن هذه المنشآت لم يكن الغرض منها أن تحمل اسم السلطان نفسه كما حدث في التكية السليمانية بعد ذلك، وإنما أمر السلطان سليم بإنشائهما تكريما لأحد مشايخ دمشق، ويمكن إضافة سبب آخر وهو أن الأمر بالإنشاء كان بعد فترة تقل عن العامين بعد خضوع المدينة للسلطة العثمانية، وبالتالي فإن الطراز الوافد لم يكن قد تم بلورته خلال تلك الفترة القصيرة، ولم يتم الاعداد لاستجلاب المهندسين أو الصناع القادرين على تنفيذ ذلك الطراز. ويدلل على ذلك أن أول تنفيذ للطراز العثماني الوافد بالولايات الأخرى كان بعد فترة أكثر من تلك بكثير، فمدينة القاهرة مثلا شهدت أول نموذج للطراز العثماني الوافد سنة ٩٣٥هـ/ ١٥٢٩م حين تم إنشاء جامع سليمان باشا الخادم بالقلعة أي بعد مرور اثنى عشر عاما على خضوع القاهرة للعثمانيين، ومدينة حلب شهدت النموذج الأول سنة ٩٥١هـ/ ١٥٤٤م عندما أنشئت المدرسة الخسروية أي بعد تسع وعشرون عاما من ذلك الحدث. وفي هذه الفترة المبكرة من الحكم العثماني كانت هذه الولايات بما في ذلك دمشق لا زالت متأثرة بالفترات السابقة في شتى النواحي الإدارية، الاجتماعية، العسكرية، السياسية، والفنية وهو ما جعل بناء الماذجالمبكرة للعمائر وفقا للطرز المحلية أمرا منطقيا، وحتى بعد تبني الطراز العثماني في مجال البناء ظل تأثير هذه النواحي في تلك الولايات مستمرا مما أدي إلى تقليصه وتقويضه أمام الطرز المحلية التي تعارف عليها على مدار العصور السابقة.

[١١٦] يتكون مخطط جامع بن عربي في مجمله من صحن أوسط محاط بالأروقة في أضلاعه الأربعة، ورغم ذلك يختلف مخططه بعض الشيئ عن التخطيط التقليدي وذلك لأن بيت الصلاة أو ما يعرف محليا باسم القبلية جاء مغلقا عن الصحن ويتصل به من خلال ثلاثة أبواب، كما جاء منعزلا كذلك عن الأروقة الثلاثة التي تحيط بالصحن، وبالتالي فهو أقرب إلى شكل الإيوان، وهي سمة مألوفة في تخطيط العمائر الدينية بالمدينة في الفترة السابقة على الفترة العثمانية. وبيت الصلاة مقسم من الداخل إلى أربعة

خلال العصر العثماني، وكان إنشاؤه بناء على أمر سلطاني من جانب السلطان سليم الأول بعد أن أتم فتحه لبلاد الشام تكريما للشيخ محي الدين بن عربي[١١٧]، وبرغم ما تقدم إلا أنه لم يتأثر بالطراز العثماني الوافد، ولم يراعي معماره الذوق الفني لمن أمر بإنشاؤه رغم كونه سلطانا. وربما يكون مرجع ذلك أنه شيد في فترة مبكرة جدا تقل عن العامين بعد الفتح العثماني، فلم يكن هناك فرصة لبلورة الطراز العثماني وتطبيقه في مدينة جديدة على السلطة العثمانية كمدينة دمشق، خاصة وأنه - كما سبقت الاشارة إلى ذلك - إذا ما قارنا أول المنشآت التي شيدت وفقا للطراز العثماني بالمدن الأخرى كالقاهرة، حلب ، ودمشق نفسها وجدنا أن ذلك تم بعد فترة ليست بالقليلة لاتاحة الفرصة لاحلال هذا الطراز واستقدام الصناع لتنفيذه وهكذا. ويمكن أن نضيف إلى ما سبق أن هذا المسجد يعد من المنشآت الثانوية التي لاترقى إلى حمل اسم السلطان نفسه حتى يطبق فيها الطراز الرسمي، وإنما كان إنشاؤه تكريما لشخص آخر.

ومن المنشآت التي شيدت وفقا لهذا التخطيط كذلك جامع الجوزة بمحلة العقيبة ١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م[١١٨] شكل (٢١ - أ)، والذي يتكون من صحن يشغل ضلعه الجنوبي قبلية مكونة من ثلاثة أروقة موازية، ويشغل ضلعه الشرقي ايوان آخر مقسم من الداخل إلى رواقين. ومن النماذج التي يتفق مخططها مع النمط المحلي كذلك جامع حمان أغا بمنطقة السويقة ١١٢٣هـ/ ١٧١١م والذي يتكون من صحن وبيت صلاة وملاحق حول الأضلاع الجانبية من الصحن شكل (٢١ - ب). ويمكن مقارنة النماذج السابقة مع ما يناظرها من العمائر التي شيدت بالمدينة قبل العصر العثماني للوقوف على مدى توافقها مع أنماطها المحلية سواء من حيث التخطيط العام أو من حيث تقسيم بيت الصلاة إلى أروقة ومن ذلك على سبيل المثال جامع الحنابلة ٥٩٨هـ/ ١٢٠٢م، جامع يلبغا ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م شكل (٢) وجامع الأقصاب ٨١١هـ/ ١٤٠٩م[١١٩] شكل (٣)، جامع بن برد بك ٨٦١هـ/ ١٤٥٧م شكل (٢٢ - أ)، والمدرسة السيبائية ٩٢١هـ/ ١٥١٦م[١٢٠] شكل (٢٢ - ب). وظهرت في هذه الفترة كذلك بعض المساجد المعلقة على حوانيت كجامع لالا مصطفى باشا ٩٧٢هـ/ ١٥٦٥م، وهي سمة وجدت من قبل ذلك بمدينة دمشق خلال العصر المملوكي كما في جامع الأمير بردبك ٨٦١هـ/ ١٤٥٧م، والمدرسة السيبائية ٩٢١هـ/ ١٥١٦م[١٢١].

أروقة تقوم على ثلاث بائكات موازية، أما الأروقة الجانبية فيتكون كل منها من رواق واحد يشرف الجانبيان على الصحن ببائكة ثنائية، بينما يشرف الرواق الشمالي أو المقابل للقبلية ببائكة ثلاثية، وقد تم تسقيف الأروقة جميعها بما في ذلك القبلية بسقف خشبي مسطح على نحو ما هو معتاد في الأسلوب المحلي. ويقع مدخل المسجد بالضلع الشمالي كما هو معتاد، وقد تم إلحاق مقام الشيخ محي الدين بالجانب الشرقي من المسجد إلا أنه جاء في مستوى منخفض حيث يتم النزول اليه عبر سلم في هذا الجانب. ابن عبد الهادي، ثمار المقاصد، ٢٣٤، ٢٣٥؛ بدران، عبد القادر، منادمة الأطلال، ٣٨٣.

[١١٧] هو الشيخ محمد بن علي بن محمد بن عربي، ولد سنة ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م، وكانت وفاته سنة ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م، أندلسي المنشأ، وتفرد في العلم بعد ذلك وكان واحدا من أقطاب الصوفية المعروفين، وزار الكثير من البلدان منها الشام والعراق والحجاز، واستقر به المقام في مدينة دمشق حيث أقام بها ما تبقى من عمره إلى أن توفي سنة ٦٣٨هـ/ ١٢٤١م، بعد أن ترك ما يقرب من الاربعمائة مجلد. الزركلي، خير الدين، *الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين*، مج ٦، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م، ٢٨١.

[١١٨] يعد هذا الجامع من المساجد القديمة التي شيدت بمدينة دمشق خلال العصر المملوكي وتحديدا سنة ٨٠٤هـ/ ١٤٠٢م كما أشار إلى ذلك النعيمي، إلا أنه تهدم بعد ذلك ليعاد بناؤه كلية خلال العصر العثماني سنة ١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م كما أشار إلى ذلك الأخوان واتسينجر & ولتسينجر. النعيمي، *الدارس في تاريخ المدارس*، ج٢، ٣٣٠؛ ولتسينجر & واتسينجر، *الآثار الإسلامية في دمشق*، ٨٧.

[١١٩] النعيمي، *الدراس في تاريخ المدارس*، ٣٣١.

[120] Boqvist, *Architecture et développement urbain à Damas*, 158.

[١٢١] الريحاوي، *العمارة العربية الإسلامية*، ١٨٣.

وقد أنشئت خلال الفترة العثمانية بعض نماذج المدارس التي توافقت مع التخطيط المحلي للمدرسة، ومن ذلك تخطيط المدرسة المرادية البرانية المعروفة بجامع المرادي بحارة الورد بسوق ساروجا ١١٠٨هـ/ ١٦٩٧م شكل (٢٣)، والتي ابتعدت تماما عن التخطيط المتعارف عليه في تخطيط المدارس العثمانية كما رأينا قبل ذلك في تخطيط المدرسة السليمانية، المدرسة الاسماعيلية، مدرسة سليمان باشا، ومدرسة عبد الله باشا، وإنما تبنت المدرسة التخطيط المتعارف عليه في المدارس المحلية، حيث تتكون من صحن يشغل ضلعه الجنوبي ايوان يقوم بدورالمصلى مقسم من الداخل لرواقين، ويشغل الضلع الشمالي للصحن حجرات الطلاب، وفي الجانب الشرقي ألحقت القبة الضريحية، ويتفق ذلك المخطط تماما مع الكثير من مخططات المدارس المحلية. ونلاحظ أن المصلى الملحق بهذه المدرسة يتقدمه رواق مستعرض على نحو ما هو معروف بالمدارس العثمانية، ولكن يستبعد أن يكون ذلك بتأثير عثماني وذلك لأن الرواق نفسه محلى الطابع حيث جاء سقفه خشبي مسطح على النسق المحلي بدلا من القباب العثمانية، كما وجد الرواق المستعرض بهذا الشكل المحلي بأحد النماذج المبكرة بمدينة دمشق وذلك بجامع حسان بباب الجابية ٥٥٧هـ/ ١١٦٢م.

وعلاوة على ما تقدم شيدت بمدينة دمشق مجموعة من التكايا التي ابتعدت في تخطيطها عن المخطط المتعارف عليه في تخطيط التكايا العثمانية كما في التكية السليمانية والتكية المرادية. ورغم أن مصطلح التكية مستجد أساسا في العصر العثماني، إلا أن هذه النماذج تبنت مخطط أقرب إلى الشكل المحلي، ومن ذلك التكية السليمية بالصالحية ٩٢٤هـ/ ١٥١٨م حيث يتألف مخططها من وحدة مركزية تلتف حولها باقي الملاحق[١٢٢]، وهذه الوحدة المركزية تتمثل في مطعم التكية الذي يتكون من قبتين متجاورتين شكل (٢٤ - أ)، وهو مخطط يذكرنا بالكثير من المنشآت المحلية كما هو الحال في المدرسة والتربة الفاروخشاهية ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م[١٢٣] شكل (١٧ - أ)، والمدرسة والتربة الجهاركسية ٦٠٨-٦٣٥هـ/ ١٢١١-١٢٣٧م[١٢٤] شكل (١٧ - ب). ومن التكايا التي شيدت خلال الفترة العثمانية وينطبق عليها ما سبق من حيث ابتعادها عن النمط العثماني للتكايا، تكية العسالي بحي القدم ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م شكل (٢٤ - ب)، وتكية الشيخ خالد النقشبندي بالصالحية ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م شكل (٢٤ - ج)، حيث يتفق كلا المثالين في أن مخططهما يتألف من وحدة مركزية تتمثل في القبة الضريحية يلتف حولها باقي ملاحق التكية[١٢٥]، وهو مخطط بعيد تماما عن النمط العثماني للتكايا، ونلاحظ أن هذا المخطط الذي تلتف فيه الملاحق حول القبة المركزية وجد بنفس الفترة تقريبا بمدينة القاهرة وذلك بمخطط تكية الگلشني ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م[١٢٦].

ومن التكايا التي تبنت في تخطيطها النمط المحلي، التكية المولوية بحي البحصة ٩٩٣هـ/ ١٥٨٥م التي تبنت التخطيط الإيواني، حيث يتألف مخططها من دورقاعة وسطى مغطاة بقبة يتعامد عليها أربعة إيوانات[١٢٧] شكل (٢٥)، والتخطيط الإيواني كان التخطيط المعروف لعمارة المدراس المحلية في دمشق، كما أن فكرة تغطية الدورقاعة المركزية بقبة أساسها شامي، حيث أن أقدم نموذج لهذا المثال نجده في مدرسة كومشتكين ببصرى الشام ٥٣٠هـ/ ١١٣٦م[١٢٨]، وتكرر ذلك بمدينة دمشق في مخطط المدرسة الركنية أو الصالحية ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م[١٢٩].

---

[١٢٢] منصور، الخوانق والتكايا الباقية بدمشق، ٣٦١.

[123] Herzfeld, Damascus: studies in architecture III, 45.

[١٢٤] بن بدران، *منادمة الأطلال*، ١٦٣.

[١٢٥] منصور، الخوانق والتكايا الباقية بدمشق، ٩٠٤.

[١٢٦] أبو العمايم، *آثار القاهرة في العصر العثمانية*، مج١، ٧.

[١٢٧] منصور، الخوانق والتكايا الباقية بدمشق، ٩٠٤.

[128] Creswell, *the Muslim architecture of Egypt*, vol. II, Oxford, 1959, 108.

الحداد، *المجمل*، ٥٦٣.

٢ . ٣. ٢. العناصر المعمارية والزخرفية:

إذا كان مخطط هذه المجموعة من العمائر موافقا للمخططات المحلية لمدينة دمشق، وبعيدا عن طرازها الوافد الذي استحدث بها مع مجيئ العثمانيين، فمن البديهي أن تتوافق عناصرها وتفاصيلها المعمارية والزخرفية مع الأساليب المحلية. ومن خلال تتبع التفاصيل المعمارية والزخرفية لهذه المجموعة ومقارنتها بما يناظرها في الفترات السابقة على الفترة العثمانية نستطيع القول أن هذه المجموعة تحققت فيها الهيمنة الكاملة للأساليب المحلية ولم تترك مجالا للطراز العثماني الوافد سواء من حيث التخطيط أو من حيث تفاصيله.

ويتحقق ذلك فعليا في جميع التفاصيل مرورا بالواجهات الخارجية التي يتضح أنها صورة صادقة للواجهات المحلية، فقد عادت بعض واجهات هذه المجموعة لطابع البساطة الذي كان متبعا خلال العصور الزنكية والأيوبية وحتى بداية العصر المملوكي، فواجهة التكية السليمية بالصالحية ٩٢٤هـ/ ١٥١٥م تذكرنا بواجهات المباني الأيوبية التي تتسم بالبساطة وقلة الزخارف واستخدام مداميك حجرية كبيرة الحجم[١٣٠] لوحة (١٦ - أ)، وينطبق الأمر ذاته على واجهة تكية العسالي بحي القدم ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م، جامع الجوزة بمحلة العقيبة ١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م، والمدرسة المرادية بحارة الورد ١١٠٨هـ/ ١٦٩٧م. كما تأثرت واجهات بعض عمائر هذه المجموعة بواجهات العمائر المملوكية التي تتسم بثرائها الزخرفي وخصوصا في مجال التناوب اللوني كما في واجهة مسجد السخانة المعروف بمسجد الشيخ عبد الغني الغنيمي بحي الميدان الفوقاني ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م، وواجهة مسجد يونس أغا بحي ركن الدين بالصالحية ١٢٤٧هـ/ ١٨٥٧م لوحة (١٦ - ب). ويمتد ذلك إلى مداخل العمائر التي تتخلل الواجهات والتي أصبحت أكثر توافقا مع المداخل المحلية سواء من حيث أنماطها العامة أو من حيث أدق تفاصيلها حتى أن العقود الموتورة التي كانت تتوج فتحاتها اختفت واستبدلت بالأعتاب أو بالعقود المستقيمة كما كان مألوفا في تكوين المدخل حتى نهاية العصر المملوكي، وأصبح عتب المدخل أو العقد المستقيم يرتكز على زوج من الكوابيل المقرنصة أو المستديرة كما كان مألوفا من قبل، ويمكن مقارنة مدخل جامع سنان أغا المعروف بالمناخلية ٩٧٠هـ/ ١٥٦٣م، بمدخل جامع التوريزي ٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م[١٣١].

وفيما يتعلق بالمآذن في عمائر هذه المجموعة فجميعها تعد استمرار للنمط المحلي الدمشقي المتأثر بالمأذنة القاهرية المملوكية، ولم يعد هناك تأثير للمأذنة ذات البدن المربع وإنما جاءت جميع نماذجها بأبدان مثمنة، ومن ذلك مئذنة التكية المولوية بحي البحصة ٩٩٣هـ/ ١٥٨٥م لوحة (١٧ - أ) التي تعد من أوضح الأمثلة التي تعكس النمط المحلي المتأثر بمآذن القاهرة في العصر المملوكي، حيث تتميز ببدنها المثمن الذي يتخلله شرفتين يرتكزان على مقرنصات حجرية ويتوجها قمة من طراز القلة، وباقي الأمثلة تعتبر انعكاسا للنمط المحلي الدمشقي كمئذنة جامع الجوزة بمحلة العقيبة ١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م لوحة (١٧ - ب)، مئذنة جامع المرادي بحارة الورد ١١٠٨هـ/ ١٦٩٧م لوحة (١٧ - ج)، ومئذنة مسجد يونس أغا بالصالحية ١٢٤٧هـ/ ١٨٥٧م.

وينطبق ذلك على باقي العناصر المعمارية لهذه المجموعة من العمائر، كالعقود ،المحاريب ،الأسقف وغير ذلك حيث جاءت جميعها استمرارا صادقا للأساليب المحلية. ويستثنى من ذلك بعض التأثيرات التركية البسيطة التي يأتي على رأسها أن بعض قمم المآذن في بعض النماذج جاءت محدبة وفقا للنمط للتركي، أما باقي البدن فمطابقا للنمط

---

[129] Meincke, Michael, *Die Mamlukische architektur in Ägypten und Syrien, 77.*

[١٣٠] الريحاوي، *العمارة العربية الإسلامية*، ١٣٣.

[١٣١] الشهابي، *مشيدات دمشق ذوات الأضرحة*، ٥٩٨.

المحلي المثمن ومن ذلك مئذنة جامع محي الدين بن عربي بالصالحية ٩٢٤هـ/ ١٥١٥م لوحة (١٧ - د)، مئذنة جامع السخانة ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م، ومئذنة جامع الشيخ يعقوب ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م، ومن ذلك أيضا استخدام الخط الفارسي في تسجيل بعض النقوش التسجيلية كالنقش الموجود على مدخل المسجد الملحق بالتكية المولوية ٩٩٣هـ/ ١٥٨٥م[١٣٢]، وعلى أية حال فهي تأثيرات ثانوية لا تؤثر على كون هذه المجموعة انعكاسا واضحا للأساليب المحلية للمدينة.

الخاتمة والنتائج:

خصصت هذه الدراسة لتتبع العمائر الدينية التي شيدت بمدينة دمشق خلال العصر العثماني، وذلك للوقوف على ظاهرة تقنين الطراز العثماني الوافد وشيوع الأساليب المحلية على حساب هذا الطراز الجديد الذي استحدث بالمدينة بعد خضوعها للسلطة العثمانية، وقد خلصت الدراسة للنتائج الآتية:

- أوضحت الدراسة أن مدينة دمشق اتفقت مع غيرها من الولايات والمدن التي خضعت للسلطة العثمانية في أن العثمانيين لم يفرضوا فيها ذوقهم الفني بعد دخولهم إليها بدليل محدودية العمائر التي شيدت وفقا لهذا الذوق الفني الجديد.
- أثبتت الدراسة من خلال تتبع العمائر الدينية التي شيدت بالمدينة خلال تلك الفترة نجاح الأساليب المحلية في منافسة الطراز العثماني الوافد وتقنينه على مراحل متتالية حتى تحققت لها الهيمنة الكاملة.
- تبين من خلال تتبع منشآت المدينة الدينية خلال الفترة العثمانية أن الآمر بالإنشاء كان له دور فعال في حجم التأثير العثماني على منشآته، بحيث يقل حجم هذا التأثير كلما قل نفوذ الآمر بالإنشاء وسلطانه، فجاءت منشآت السلاطين في المقدمة، ثم يختلط الطراز العثماني مع المحلي بمنشآت الولاة، ويسود الطراز المحلي بمنشآت من هم أقل مرتبة من الولاة.
- بتتبع العمائر الدينية التي شيدت بالمدينة خلال الفترة العثمانية تبين انقسامها إلى ثلاث مجموعات مختلفة، الأولى تمثل الطراز العثماني الخالص، الثانية تجمع بين الطرازين الوافد والمحلي، والثالثة وهي الأكثر عددا تمثل العودة للأسلوب المحلي الخالص قبل الفترة العثمانية.
- أثبتت الدراسة عدم وجود استثناءات لتواجد التأثيرات المحلية على جميع نماذج عمائر هذه الفترة الدينية حتى ما شيد منها وفقا للطراز العثماني الخالص ولكن بدرجات متفاوتة.
- أشارت الدراسة إلى أن هناك مجموعة من العمائر شيدت بدمشق خلال تلك الفترة وفقا لمخططات عثمانية وافدة لم تكن موجودة من قبل، إلا أن بعض الوحدات الداخلية المكونة لهذا المخطط الوافد نفذت وفقا للأساليب المحلية، فجمعت بذلك بين الطرازين الوافد والمحلي في مخطط واحد عرف باسم الهجين.
- أوضحت الدراسة أن بعض العناصر المعمارية العثمانية كالمآذن والمحاريب تم استهجانها من جانب المعمار المحلي بحيث نفذت بدمشق بمسحة محلية واضحة أبعدتها بعض الشيئ عن أصلها العثماني.
- أثبتت الدراسة أنه إلى جانب العناصر المعمارية الوافدة التي تم استهجانها بمسحة محلية، كان هناك تفوقا آخر للعناصر المحلية الخالصة بالعمائر الدينية خلال تلك الفترة، وهو ما يؤكد على وضوح ظاهرة تقنين وتحجيم العناصر الوافدة.
- أثبتت الدراسة أن بعض العناصر المعمارية العثمانية الوافدة لم يظهر لها بدمشق بهيئتها الأصيلة (دون تأثير محلي) سوى نموذج واحد فقط مثل المدخل التركي والمئذنة التركية بجامع السليمانية.

[١٣٢] منصور، الخوانق والتكايا الباقية بدمشق، لوحة ١٨٣٤.

- أوضحت الدراسة أنه بنهاية ق١٢هـ/١٨م تلاشى تأثير الطراز العثماني الوافد على العمائر الدينية ليفسح المجال كاملا لعودة الأساليب المحلية للعمائر الدينية التي شيدت بعد هذه التاريخ، وذلك باستثناء بعض التأثيرات الثانوية التي لا تؤثر على الشكل المحلي لهذه المنشآت.

مراجع البحث

أولا: المراجع العربية والمعربة:

- أبو العمايم، محمد، *آثار القاهرة الإسلامية في العصر العثمانية*، مج١، المساجد والمدارس والزوايا، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول، استانبول، ٢٠٠٣م.
- أصلان آبا، أوقطاي، *فنون الترك وعمائرهم*، ترجمة أحمد عيسى، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، ١٩٨٧م.
- ابن بدران، عبد القادر، *منادمة الأطلال ومسامرة الخيال*، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م.
- ابن بلة، خيرة، العمارة الدينية الجزائرية بين الطراز المحلي والتأثيرات العثمانية ، المؤتمر الخامس عشر لاتحاد للآثاريين العرب، ٢٠١٢م.
- ابن عبد الهادي، يوسف، *ثمار المقاصد في ذكر المساجد*، تحقيق محمد أسعد طلس، بيروت ١٩٤٣م.
- البهنسي، عفيف، *الجامع الأموي الكبير بدمشق*، دار طلاس، سوريا، ١٩٨٨م.
- الحداد، محمد حمزة، الطراز المصري لعمائر القاهرة الدينية خلال العصر العثماني ٩٢٣-١٢١٣هـ/ ١٥١٧-١٧٩٨م، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٠م.
- الحداد، محمد حمزة، المجمل في الآثار والحضارة الإسلامية، ط٣، زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠١٤م.
- الحفوظي، أشرف إبراهيم، أثر العمارة الإسلامية على عمارة المساجد الموصلية (دراسة تحليلية للخصائص والمفردات المعمارية)، مجلة الرافدين، مج ١٩، العدد١، ٢٠١١م، ١١٠-١٢٢.
- الحمصي، أحمد فائز، *روائع العمارة العربية الإسلامية في سورية*، دمشق، ١٩٨٢م.
- الدولالتلي، عبد العزيز، التأثيرات العثمانية في العمارة التونسية، المجلة التاريخية المغاربية ، مج ١٠، ع ٣١،٣٢، ١٩٨٣م.
- الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، مج ٦، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م.
- رشدي، غادة، طراز بناء المدارس بمدينة دمشق في العصر العثماني، دراسة معمارية، مجلة كلية الآداب جامعة طنطا، العدد ٢١، ٢٠٠٨م، ١٢٥٣-١٣٠٨.
- الريحاوي، عبد القادر، الأبنية الأثرية في دمشق، دراسة وتحقيق التكية والمدرسة السليمانيتان بدمشق، الحوليات الأثرية العربية السورية، مج٧، ج١، ٢، ١٩٥٧م، ١٢٥-١٣٤.
- الريحاوي، عبد القادر، جامع يلبغا في دمشق، الحوليات الأثرية العربية السورية، مج ٢٤، ١٩٧٤م، ١٢٥-١٥٠.
- الريحاوي، عبد القادر، العمارة العربية الإسلامية، خصائصها وآثارها في سورية، ط٢، دار البشائر، دمشق، ١٩٩٩م.
- ريمون، أندريه، العواصم العربية – عمارتها وعمرانها في الفترة العثمانية، تعريب قاسم طوير، دار المجد، سوريا، ١٩٨٦م.
- ريمون، أندرية، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة لطيف فرج، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩١م.
- زكي، أحمد محمد، التأثيرات المحلية الموروثة على العمائر الدينية ذات الطراز العثماني الوافد بمدينة القاهرة، مجلة كلية التربية جامعة الاسكندرية، مج٢١، العدد٢، ٢٠١١م، ٢٢٧-٣٣٢.
- شميساني، حسن، مدارس دمشق في العصر الأيوبي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣م.
- الشهابي، قتيبة، مآذن دمشق *تاريخ وطراز*، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٩٣م.

- الشهابي، قتيبة، *مشيدات دمشق ذوات الأضرحة وعناصرها الجمالية*، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٩٥م.
- الشهابي، قتيبة، *زخارف العمارة الإسلامية في دمشق*، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٩٦م.
- عبد الحق، سليم عادل & معاذ، خالد، *مشاهد* دمشق الأثرية، مطبوعات مديرية الآثار العامة والمتاحف، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٥٠م.
- عبد الرازق، منصور، الطرز المعمارية للمآذن الباقية بمدينة حلب، مجلة وقائع تاريخية، مج٢٠، ٢٠١٤م، ٢٩٩-٣٨٢.
- عبد الوهاب، حسن، *التأثيرات المعمارية بين آثار سوريا ومصر*، القاهرة، ١٩٦٢م.
- عثمان، نجوى، *الهندسة الإنشائية في مساجد حلب*، منشورات معهد التراث العلمي، حلب، ١٩٩٢م.
- العلبي، أكرم حسن، *دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين*، الشركة المتحدة للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٢م.
- العلبي، أكرم، *خطط دمشق – دراسة تاريخية شاملة*، دار الطباع، دمشق، ١٩٨٩م.
- عنب، محمد أحمد، التأثيرات العثمانية على العمارة الإسلامية فى اليمن ، دراسة آثارية معمارية فنية، مجلة كان التاريخية، مج١٢، العدد ٤٤، ٢٠١٩م، ١٩-٤٠.
- عيسى، مرفت محمود، الطراز العثماني لمنشآت التعليم بالقاهرة ٩٢٣-١٢١٣هـ/ ١٥١٧-١٧٩٨م دراسة أثرية معمارية، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٧م.
- قصقص، هلا، مساجد دمشق في العصر العثماني- دراسة تاريخية عمرانية، دار نينوي للطباعة والنشر، سوريا، ٢٠١٩م.
- لعرج، عبد العزيز، مظاهر التأثير العثماني على المنتجات الفنية بالجزائر، مجلة الإتحاد العام للآثاريين العرب، مج٣، ٢٠٠٢م، ٥٢٤-٥٤٢.
- مرسي، محمود، دراسة لمجموعة من العمائر الإسلامية الدينية الباقية بمدينة دمشق من العصر المملوكي في الفترة من النصف الثاني من القرن ٧هـ/ ١٣م وحتى منتصف القرن ٨هـ/ ١٤م، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، العدد ٤، ٢٠٠٣م، ١٠٠٧-١٠٩٤.
- مرسي، محمود، المدرسة الشاذبكية ودار القرآن الصابونية بمدينة دمشق (النصف الثاني من ق ٩هـ/ ١٥م) دراسة أثرية معمارية، المؤتمر العالمي الأول للعمارة والفنون الإسلامية الماضي والحاضر والمستقبل، رابطة الجامعات الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٧م، ١٨٨-٢٠٩.

- مرسي، محمود، جامع التوريزي بمدينة دمشق ٨٢٣-٨٢٦هـ/١٤٢٠-١٤٢٣م دراسة أثرية معمارية، مجلة الإتحاد العام للآثاريين العرب، العدد٨، ٢٠٠٧م، ٨٧-١٢٥.
- مرسي، محمود، جامع العادلية بحلب دراسة أثرية معمارية، المؤتمر الدولي السادس لمركز الدراسات البردية، جامعة عين شمس، ٢٠١٥م، ٤٢٥-٤٥٦.
- مرسي، محمود، جامع الأمير بردبك بدمشق،دراسة أثرية معمارية، المؤتمر الدولي السادس: الموروثات القديمة بين الشفافية والكتابية والتجسيد، مركز الدراسات البردية والنقوش، جامعة عين شمس، ٢٠١٥م، ٢٦١-٢٨٠.
- المليجي، علي محمد سليمان، الطراز العثماني في عمائر القاهرة الدينية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة أسيوط، ١٩٨٠م.
- المنجد، صلاح الدين، *ولاة دمشق في العهد العثماني*، دمشق، ١٩٤٩م.
- منصور، محمد عبد القادر، المدارس العثمانية الباقية بمدينة دمشق دراسة أثرية معمارية ، رسالة ماجستير، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠١٠م.
- منصور، محمد عبد القادر، الخوانق والتكايا الباقية بمدينة دمشق من العصرين المملوكي الجركسي والعثماني، رسالة دكتوراه، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠١٣م.
- نجيب، محمد مصطفى، دراسة معمارية للمساجد الجامعة الجركسية بمصر ٧٨٤-٩٢٣هـ/ ١٣٨٢-١٥١٧م، ط١، دار كتابات، القاهرة، ٢٠١٣م.
- نجيب، محمد مصطفى، تأثير الأرجل المروحية على العقود الثلاثية "المداينية" بمنشآت دولتي المماليك البحرية والجركسية ٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م، ضمن كتاب "دراسات في الأقبية والأحقاق المروحية بمصر والشرق الأدنى في العصر الوسيط"، درا كتابات، القاهرة، ٢٠١٣م، ٨٩-٢٠٥.
- النعيمي، عبد القادر، الدراس في تاريخ المدارس، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.
- ولتسينجر، كارل & واتسينجر، كارل، *الآثار الإسلامية في مدينة دمشق*، تعريب قاسم طوير، تعليق عبد القادر الريحاوي، دمشق، ١٩٨٤م.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

- Abd al-Razik, Mansour, Mosque of Bahram Pasha and its endowments in Aleppo (Syria), scientific culture, vol.3, issue 1, Greece, 2017, 1-10.
- Abd al-Razik, Mansour, The local and foreign influences on religious architecture during the Ottoman period, journal of Faculty of archaeology, Cairo University, vol. 25, 2022, 417-449.
- Arnaud, Jean-luc, *Damas Urbanisme et architecture (1860-1925)*, Sinbad, 2006.
- Boqvist, Marianne, *Architecture et développement urbain à Damas de la conquête ottoman (922 h./ 1516-17) à la fondation du waqf de Murad Pacha (1017 h./ 1607-08)*, Paris, 2005.
- Burns, Ross, *Damascus: A history*, Routledge, Taylor & Francis group, London, 2005.
- Creswell, *the Muslim architecture of Egypt*, vol. II, Oxford, 1959.
- Creswell, K. A. C., *a short account of early Muslim architecture*, A.U.C., Cairo, 1989.
- Freely, John, *A history of Ottoman architecture*, Wit press, Boston, 2011.
- Goodwin, Godfrey, *A history of Ottoman architecture*, Thames and Hudson, London, 1971.
- Herzfeld, Ernst, Damascus: Studies in architecture I, Ars Islamica, vol. 9, 1942, 1-53.
- Herzfeld, Ernst, Damascus: Studies in architecture III, Ars Islamica, vol. 11, 1946, 1-71.
- Kafescioğlu, Çiğdem, "In the image of Rūm": Ottoman architecture patronage in sixteenth-century Aleppo and Damascus, *Muqarnas*, vol. 16, 1999, 70-96.
- Meincke, Michael, *Die Mamlukische architektur in Ägypten und Syrien (648/1250 bis 923/1517)*, Abhandlungen des Deutschen Archäologischen Institutes, Ägypten, 1992.
- Sauvaget, Jean, *Les monuments historiques des Damas*, Beyrouth, 1932.
- Stierlin, Henri, *Turkey from the Selçuks to the Ottomans*, Taschen, London, 2002.

الأشكال واللوحات

أولا: الأشكال:

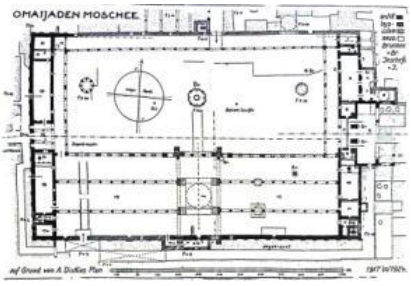

شكل (١): مسقط أفقي للجامع الأموي بدمشق؛ ولتسينجر& واتسينجر، الآثار الإسلامية في دمشق، ٣٠٧.

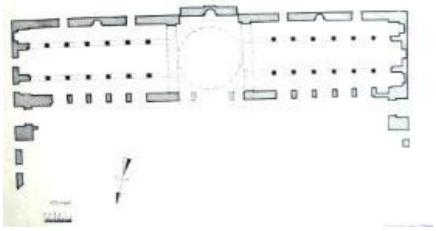

شكل (٢): مسقط أفقي لجامع يلبغا بدمشق ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م؛ الريحاوي، جامع يلبغا، ١٣١.

شكل (٣): مسقط أفقي لجامع الأقصاب بدمشق ٨١١هـ/ ١٤٠٩م؛ مديرية المباني التاريخية بدمشق.

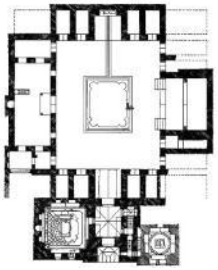

شكل (٤): مسقط أفقي للمدرسة النورية الكبرى بدمشق ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م؛ Herzfeld, Damascus I, 42.

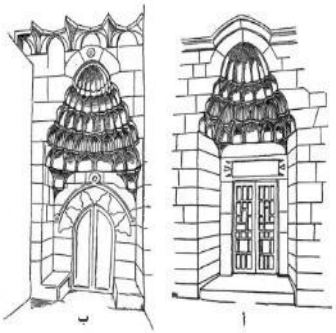

شكل (٦): أ- مدخل المدرسة الصاحبية بدمشق ٦٢٨هـ/١٢٣١م. **ب-** مدخل المدرسة الأتابكية بدمشق ٦٤٠هـ/ ١٢٤٣م؛ Herzfeld,

شكل (٥): مسقط أفقي للمدرسة الأفريدونية بدمشق ق٨هـ/ ١٤م؛ مديرية المباني التاريخية بدمشق.

شكل (٧): مجمع السلطان سليمان القانوني باستانبول ٩٥٧هـ/١٥٥٠م؛ Goodwin, 217.

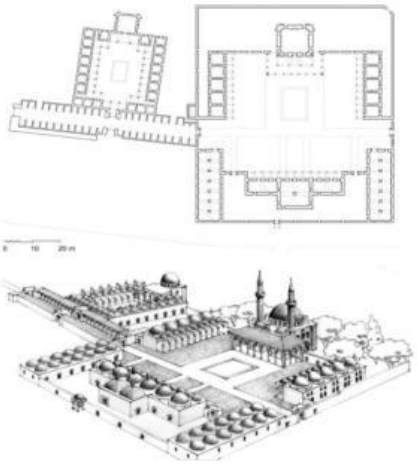

شكل (٨): مجمع السلطان سليمان القانوني بدمشق ٩٦٢-٩٧٤هـ/ ١٥٥٤-١٥٦٦م؛ مديرية المباني التاريخية بدمشق.

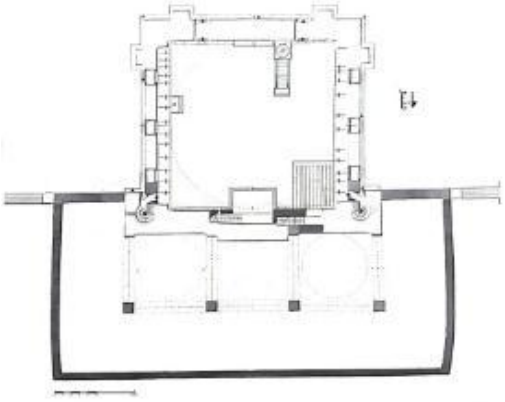

شكل (٩): الجامع المحلق بالتكية السليمانية بدمشق ٩٦٢هـ/ ١٥٥٤م؛ مديرية المباني التاريخية بدمشق.

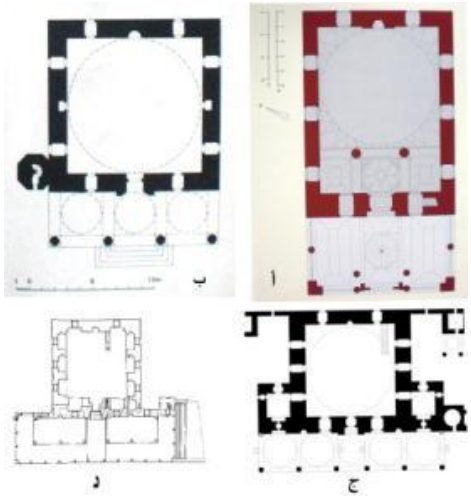

شكل (١٠): **أ-** يشيل جامع بإزنيك ٧٨٠هـ/ ١٤٨٥م؛ Stierlin, 85 **ب-** جامع فيروز أغا باستانبول ٨٩٦هـ/١٤٩١م؛Goodwin, 167 **ج-** جامع الخسروية بحلب ٩٥١هـ/ ١٥٤٤م. **د-** جامع العادلية بحلب ٩٦٣هـ/ ١٥٥٥م؛ دائرة أوقاف حلب.

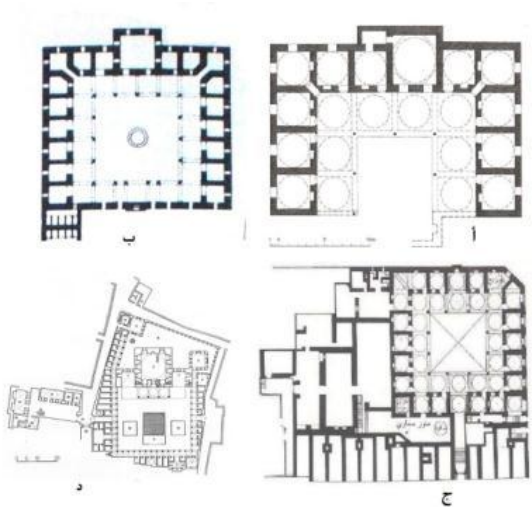

شكل (١١): أ- مدرسة سليمان باشا بإزنيك؛ Freely, 57. **ب-** المدرسة الملحقة بمجمع السلطان بيازيد بأدرنة؛ Goodwin, fig. 157. **ج-** التكية السليمانية بالقاهرة ٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م؛ أبو العمايم، ٦١. **د-** المدرسة العثمانية بحلب؛ عثمان، ٢٧٨.

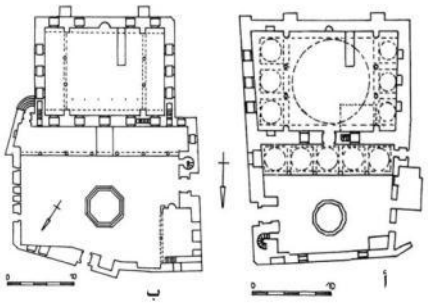

شكل (١٢): أ- جامع الدرويشية بدمشق ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م. **ب-** جامع السنانية بدمشق ٩٩٩هـ/ ١٥٩٠م؛ Kafescioğlu, 90.

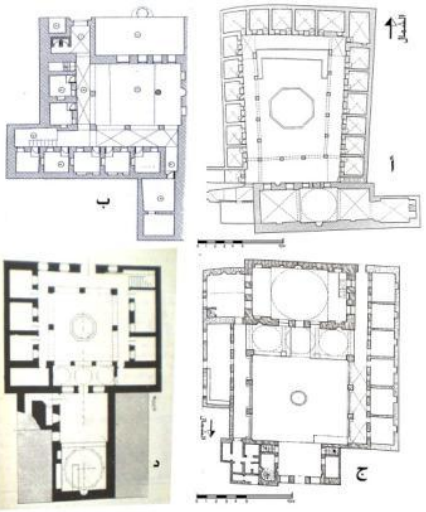

شكل (١٣): أ- مدرسة اسماعيل باشا العظم بدمشق ١١٣١هـ/ ١٧١٩م. مديرية المباني التاريخية بدمشق. **ب-** مدرسة سليمان باشا العظم بدمشق ١١٥٠هـ/ ١٧٣٨م؛ رشدي، ١١٩١. **ج-** المدرسة الفتحية بدمشق (جامع القيمرية) ١١٥٦هـ/ ١٧٤٢م؛ مديرية المباني التاريخية بدمشق. **د-** مدرسة عبد الله باشا العظم بدمشق ١١٩٣هـ/١٧٧٩م؛ ولتسينجر، ١٤٢.

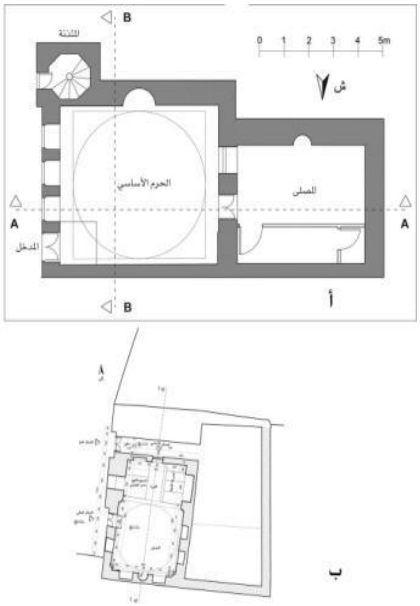

شكل (١٤): أ- جامع البكري (برويز باشا) بدمشق ١٠٦٩هـ/ ١٦٨٥م. **ب-** زاوية سعد الدين الجباوي بدمشق ق١٢هـ/ ١٨م؛ مديرية المباني التاريخية بدمشق.

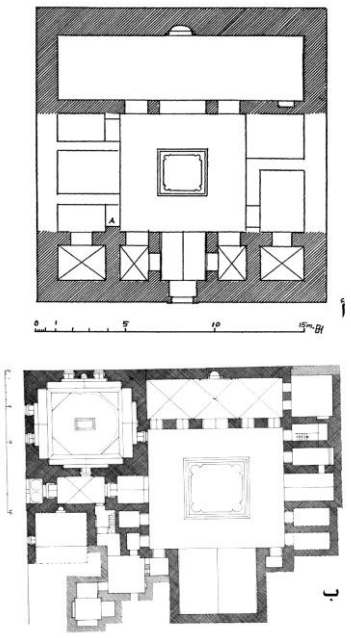

شكل (١٥): أ- دار الحديث النورية بدمشق ٥٥٩هـ/ ١١٦٤م؛ Herzfeld, Damascus I, 51. **ب-** المدرسة العادلية الكبرى بدمشق ٦١٩هـ/ ١٢٢٢م؛ Herzfeld, Damascus III, 2.

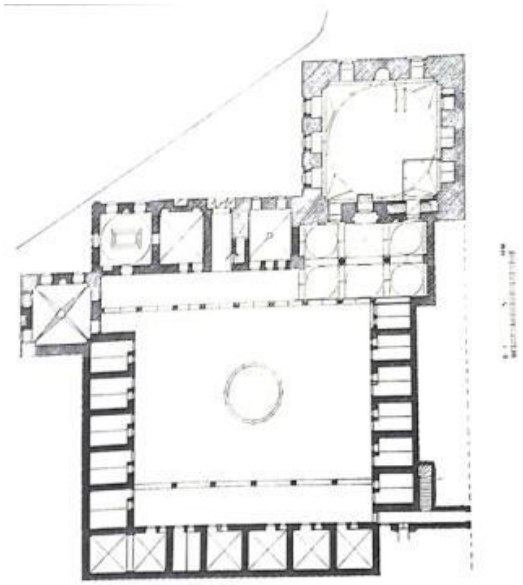

شكل (١٦): أ- جامع النقشبندي المعروف بالتكية المرادية بدمشق ٩٨١هـ/ ١٥٧٣م؛ منصور، الخوانق، شكل ٦٣٣.

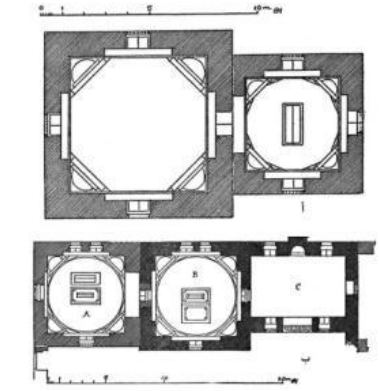

شكل (١٧): أ- المدرسة والتربة الفاروخشاهية بدمشق ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م؛ Herzfeld, Damascus III, 45. **ب-** المدرسة الجهاركسية بدمشق ٦٠٨-٦٣٥هـ/ ١٢١١-١٢٣٧م؛ Herzfeld, Damascus III, 50.

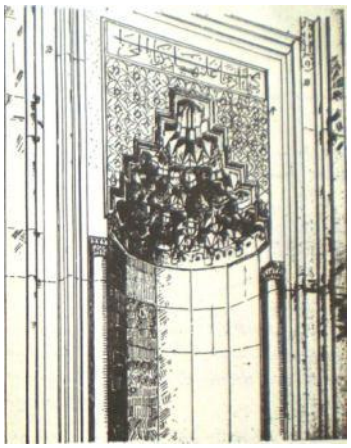

شكل (١٨): محراب الجامع الملحق بالتكية السليمانية بدمشق ٩٦٢هـ/ ١٥٥٤م؛ ولتسينجر، ٢١٦.

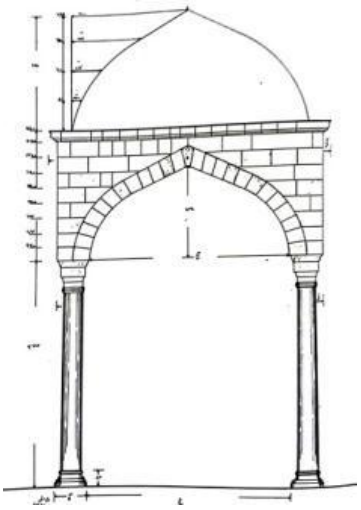

شكل (١٩): نموذج للعقد ذو الأربعة مراكز بالتكية السليمانية بدمشق ٩٦٢هـ/ ١٥٥٤م؛ منصور، الخوانق، ش٢٤٤.

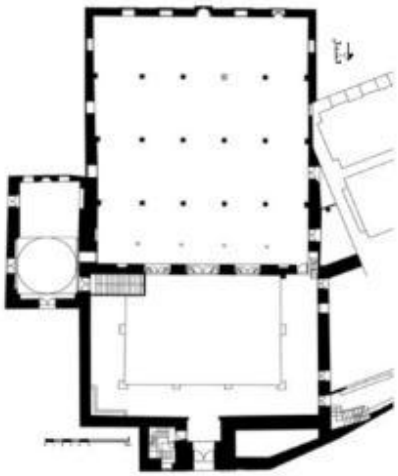

شكل (٢٠): جامع محي الدين بن عربي بدمشق ٩٢٤هـ/ ١٥١٨م؛ مديرية المباني التاريخية بدمشق.

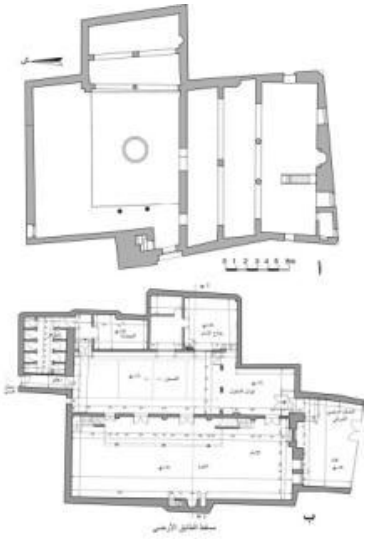

شكل (٢١): **أ-** جامع الجوزة بدمشق ١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م. **ب-** جامع حمان أغا ١١٢٣هـ/ ١٧١١م؛ مديرية المباني التاريخية بدمشق.

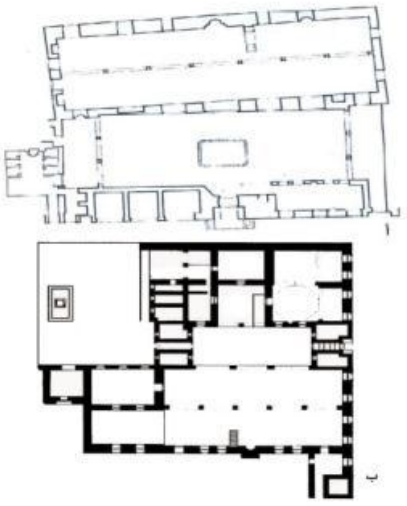

شكل (٢٢): **أ-** جامع برد بك بدمشق ٨٦١هـ/ ١٤٥٧م؛ مرسي، جامع بردبك، ٢٧٣. **ب-** المدرسة السيبائية بدمشق ٩٢٢هـ/ ١٥١٥م؛ مديرية المباني التاريخية بدمشق.

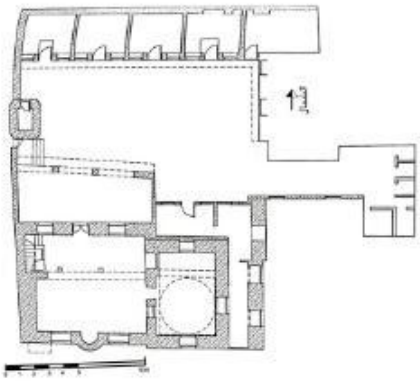

شكل (٢٣): المدرسة المرادية بدمشق ١١٠٨هـ/ ١٦٩٧م؛ مديرية المباني التاريخية بدمشق

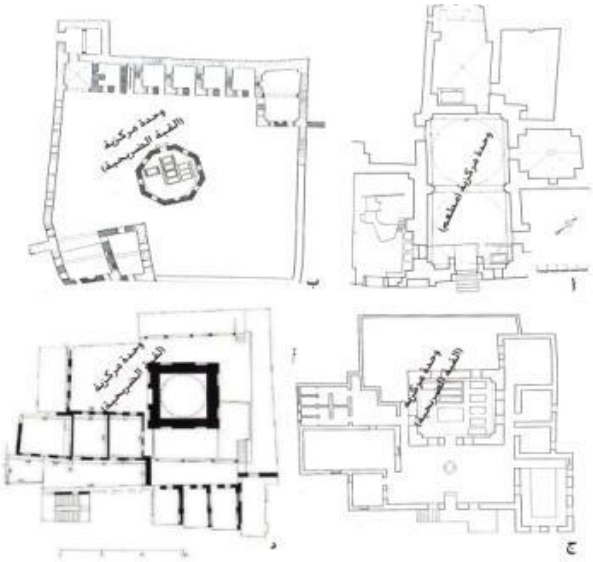

شكل (٢٤): **أ-** التكية السليمية بدمشق ٩٢٤هـ/ ١٥١٨م. **ب-** تكية العسالي بدمشق ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م. **ج-** تكية النقشبندي بدمشق ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م؛ منصور، الخوانق، أشكال ١٥٠، ٦٦٠، ٦٧٤. **د-** تكية الگلشني بالقاهرة ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م؛ أبو العمايم، ٧.

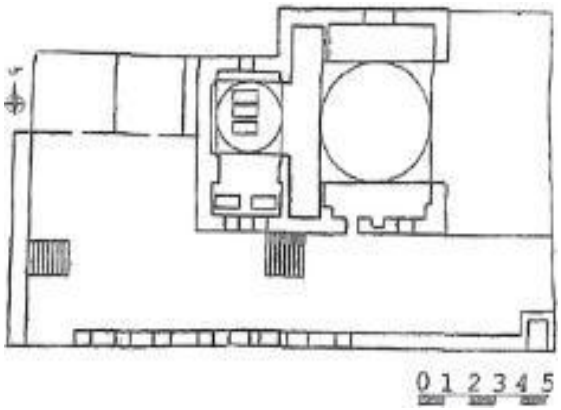

شكل (٢٥): التكية المولوية بدمشق ٩٩٣هـ/ ١٥٨٥م؛ منصور، الخوانق، شكل ٦٥٢.

ثانيا: اللوحات:

لوحة (١): أ- مدخل المدرسة الركنية بدمشق ٦٢١هـ/١٢٢٤م. **ب-** مدخل المدرسة المرشدية بدمشق ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م.

لوحة (٢): جامع الخاتونية بمانيسا، تركيا ٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م؛ Goodwin, 159.

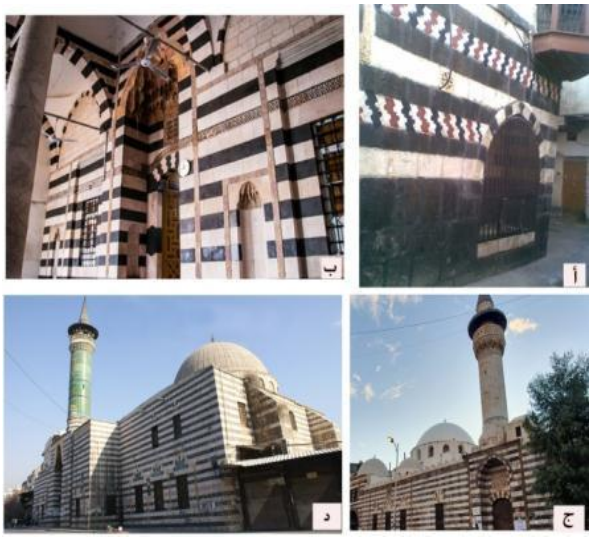

لوحة (٣): واجهات بعض عمائر الطراز الهجين بدمشق: أ- الزاوية الصمادية ٩٣٢هـ/ ١٥٢٦م. **ب-** واجهة بيت الصلاة بجامع النقشبندي ٩٨١هـ/ ١٥٧٣م. **ج-** جامع الدرويشية ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م. **د-** جامع السنانية ٩٩٩هـ/

لوحة (٤): مدخل الجامع الملحق بالتكية السليمانية بدمشق ٩٦٢هـ/ ١٥٥٤م.

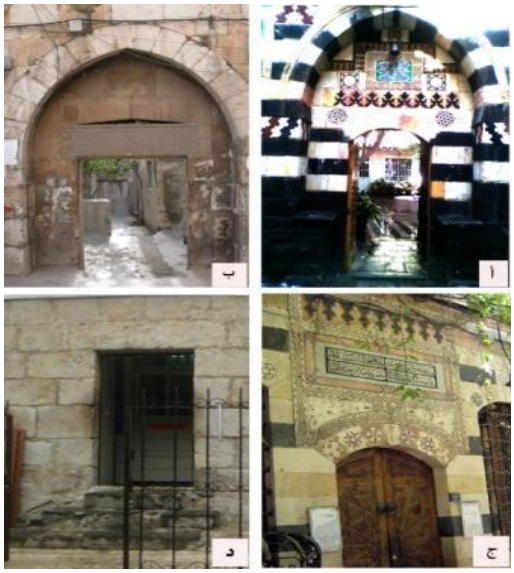

لوحة (٥): أ- مدخل الزاوية الصمادية بدمشق ٩٣٢هـ/ ١٥٢٦م. **ب-** مدخل المدرسة المرشدية بدمشق ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م. **ج-** مدخل المدرسة الفتحية بدمشق ١١٥٦هـ/ ١٧٤٢م. **د-** مدخل المدرسة الجهاركسية بدمشق ٦٠٨هـ/ ١٢١١م.

لوحة (٦): أ- مدخل جامع السنانية بدمشق ٩٩٩هـ/ ١٥٩٠م. **ب-** مدخل المدرسة الظاهرية بدمشق ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م؛ Herzfeld Archive

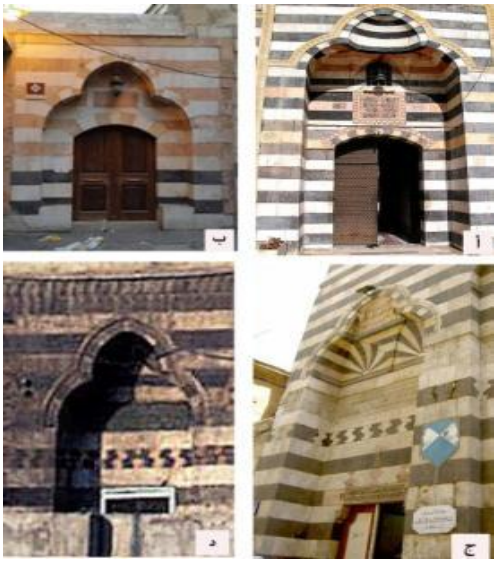

لوحة (٧): أ- مدخل جامع النقشبندي ٩٨١هـ/١٥٧٣م. **ب-** مدخل جامع الياغوشية ٩٩٥هـ/ ١٥٨٧م. **ج-** مدخل جامع التوريزي ٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م. **د-** السبيل الملحق بالمدرسة الشاذبكية ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م.

لوحة (٨): أ- مئذنتي التكية السليمانية بدمشق ٩٦٢هـ/١٥٥٤م. **ب-** مئذنة جامع الدرويشية ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م. **ج-** مئذنة جامع الياغوشية ٩٩٥هـ/ ١٥٨٧م. **د-** مئذنة جامع السنانية ٩٩٩هـ/ ١٥٩٠م.

لوحة (٩): أ- مئذنة جامع النقشندي بدمشق ٩٨١هـ/١٥٧٣م. **ب-** مئذنة جامع السنجقدار ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م.

لوحة (١٠): أ- مئذنة جامع البكري بدمشق ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٨م. **ب-** مئذنة المدرسة الفتحية بدمشق ١١٥٦هـ/ ١٧٤٢م.

لوحة (١١): أ- قبة الزاوية الصمادية بدمشق ٩٣٢هـ/ ١٥٢٦م. **ب-** قبة بيت الصلاة بجامع الياغوشية ٩٩٥هـ/ ١٥٨٧م. **ج-** الأسقف المسطحة بأروقة مدرسة سليمان باشا ١١٥٠هـ/ ١٧٣٨م. **د-** الأسقف المسطحة بالمدرسة الفتحية ١١٥٦هـ/ ١٧٤٢م.

لوحة (١٢): أ- محراب جامع النقشبندي ٩٨١هـ/ ١٥٧٣م. **ب-** محراب جامع الدرويشية ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م. **ج-** محراب جامع السنانية ٩٩٩هـ/ ١٥٩٠م. **د-** محراب المدرسة الجقمقية ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م.

لوحة (١٣): العقود المدببة ذات الأربعة مراكز: أ- الدرويشية ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م. **ب-** السنانية ٩٩٩هـ/ ١٥٩٠م. العقد المدبب التقليدي: **ج-** مدرسة عبد باشا العظم ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م. **د-** جامع الأقصاب ٨١١هـ/ ١٤٠٩م.

لوحة (١٤): أ- العقود النصف مستديرة بالمدرسة الأحمدية بدمشق ٩٤٤هـ/ ١٥٣٨م. **ب-** العقود النصف مستديرة بالمدرسة الظاهرية بدمشق ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م. **ج-** عقد من صنجات متداخلة بالمدرسة الاسماعيلية بدمشق ١١٣١هـ/ ١٧١٩م. **د-** واجهة المدخل بالمدرسة الجقمقية بدمشق ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م.

لوحة (١٥): أ- الدخلات لرأسة بواجهة جامع النقشبندي ٩٨١هـ/ ١٥٧٣م. **ب-** الدخلات الرأسية بواجهة جامع الأفرم ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م. **ج-** الزخارف الحجرية على واجهة جامع الدرويشية ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م. **د-** تفصيل للجامة التي نفذت على واجهات العمائر المملوكية والعثمانية؛ الريحاوي، ٢٤٢.

لوحة (١٦): أ- واجهة التكية السليمية بدمشق ٩٢٤هـ/ ١٥١٨م؛ منصور، الخوانق، لوحة ٤٢٦. **ب-** واجهة جامع يونس أغا بدمشق ١٢٤٧هـ/ ١٨٥٧م.

لوحة (١٧): أ- مئذنة التكية المولوية ٩٩٣هـ/ ١٥٨٥م. **ب-** مئذنة جامع الجوزة ١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م. **ج-** مئذنة جامع المرادي ١١٠٨هـ/ ١٦٩٧م. **د-** مئذنة جامع محي الدين بن عربي ٩٢٤هـ/ ١٥١٨م.